مُلخّص

السِّيرة النبويَّة

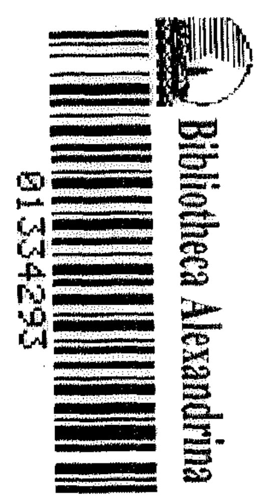
تأليف

المرحُوم الشيخ محمّد هارُون
كبير مُفتّشي المحاكم الشرعيَّة سابقًا

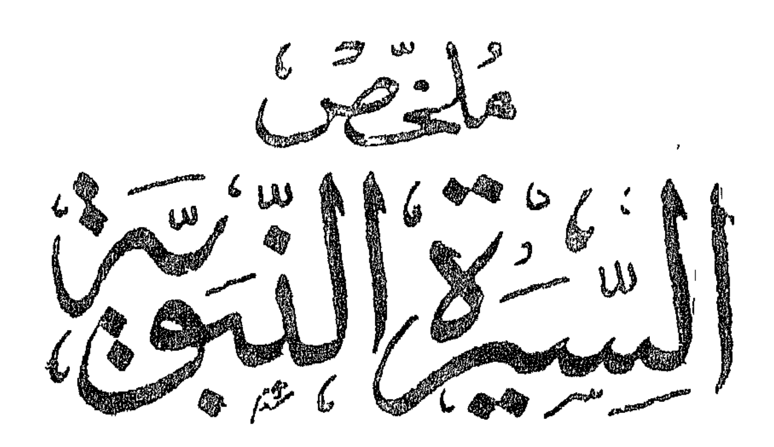
ترتيب وتهذيب

أبو الفضل محمّد هارون
سكرتير إدارة التحقيق بوزارة المعارف سابقًا

الطبعة الخامسة



المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان
ص.ب : ٨٧٢٧



مُلخّص السيرة النبوية

تأليف

المرحوم الشيخ محمد هارون

كبير مفتشى المحاكم الشرعية سابقا

ترتيب وتهذيب

أبو الفضل محمد هارون

سكرتير إدارة التحقيق بوزارة المعارف سابقاً

الطبعة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم

نسب النبي صلى الله عليه وسلم
من جهة أبيه وأمه

هو سيدنا ونبينا محمد . خاتم الأنبياء والمرسلين . ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم . بن عبد مناف . بن قصى . بن حكيم . بن مرة . ابن كعب . بن لؤى . بن غالب . بن فهر . بن مالك . بن النضر . ابن كنانة . بن خزيمة . بن مدركة . بن إلياس . بن مضر . بن نزار . ابن معد . بن عدنان .

هذا هو النسب المتفق على صحته . كما اتفقوا على أن النسب المحمدى الشريف . يتصل بسيدنا إسماعيل بن سيدنا إبراهيم عليهما الصلاة والسلام . ولكن سلسلة النسب بين عدنان وسيدنا إسماعيل عليه السلام لم يثبت علمها من طريق صحيح .

وأمه صلى الله عليه وسلم : هى آمنة بنت وهب . بن عبد مناف ابن زهرة . بن حكيم . الذى هو الجد الخامس للنبي صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه . فأبوه وأمه صلى الله عليه وسلم من أصل واحد . يجتمعان فى حكيم بن مرة .

ومن جدودهما : فهر الذى هو قريش ، التى تنسب إليه الأمم القرشية المشهود لها بالشرف ورفعة الشأن بين العرب .

وكل اجتماع بين آبائه وزوجاتهم كان شرعياً ، بحسب الأصول العربية ، فلم يكن فى نسبه الشريف شيء من سفاح الجاهلية ، فهو نسب شريف طاهر من آباء طاهرين ، وأمهات طاهرات : والحمد لله رب العالمين .

مولده صلى الله عليه وسلم

وزمن ولادته ومكانها ووفاة والده ﷺ

تزوج عبد الله — والد النبي صلى الله عليه وسلم — آمنة بنت وهب ، وعمره ثمانى عشرة سنة ، وهي يومئذ من أفضل نساء قريش نسباً وأكرمهم خلقاً ، ولما دخل بها حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسافر والده عبد الله عقب ذلك بتجارة له إلى الشام ، فأدركته الوفاة بالمدينة (يثرب) وهو راجع من الشام ، ودفن بها عند أخواله بني عدى بن النجار ، وكان ذلك بعد شهرين من حمل أمه آمنة به ﷺ .

ولما تمت مدة الحمل ، ولدته صلى الله عليه وسلم — بمكة المشرفة فى اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل ، الذى يوافق سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ، وهو العام الذى أغار فيه ملك الحبشة على مكة ، بجيش تتقدمه الفيلة .

وكانت ولادته صلى الله عليه وسلم فى دار عمه أبى طالب ، فى شعب بنى هاشم ، وسماه جده عبد المطلب (محمداً) فوافق ذلك ما جاء فى التوراة من

البشارة بالنبي . الذى يأتى من بعد عيسى عليه الصلاة والسلام ، مسمى بهذا الاسم الشريف ،

كما جاءت البشارة به صلى الله عليه وسلم على لسان عيسى عليه الصلاة والسلام باسمه (أحمد) .

وكانت قابلته صلى الله عليه وسلم الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف ، وحاضنته : أم أيمن بركة الحبشية . أمة أبيه عبد الله .

رضاعه صلى الله عليه وسلم
وما حصل فى زمن الرضاع

أرضعته صلى الله عليه وسلم أمه عقب الولادة ، ثم أرضعته ثويبة ، أمة عمه أبى لهب أياما ، ثم جاء إلى مكة نسوة من البادية يطلبن أطفالا يرضعنهم ابتغاء المعروف من آباء الرضعاء ، على حسب عادة أشراف العرب ، فإنهم كانوا يدفعون بأولادهم إلى نساء البادية يرضعنهم هناك ، حتى يتربوا على النجابة والشهامة وقوة العزيمة . فاختيرت لإرضاعه صلى الله عليه وسلم من بين هؤلاء النسوة « حليمة » بنت أبى ذؤيب السعدية ، فأخذته معها بعد أن استشارت زوجها « أبا كبشة » الذى رجا أن يجعل الله لهم فيه بركة ، فحقق الله تعالى رجاه ، وبدل عسرهم يسراً فدر ثديها بعد أن كان لبنها لا يكفى ولدها ودرت ناقتهم حتى أشبعتهم جميعا ، بعد أن كانت لا تغنيهم ، وبعد أن وصلوا به إلى أرضهم ، كانت غنمهم تأتيهم شباعا غزيرة اللبن ، مع أن أرضهم كانت

مجدبة فى تلك السنة ، واستمروا فى خير وبركة مدة وجوده صلى الله عليه وسلم بينهم .

ولما كمل له سنتان ، فصلته حليمة من الرضاع ، ثم أتت به إلى جده وأمه وكلمتهما فى رجوعها به وإبقائه عندها فأذنا لها بذلك .

حادثة شق صدره

صلى الله عليه وسلم ورجوعه لأمه

بعد عودة حليمة السعدية به صلى الله عليه وسلم من مكة إلى ديار بنى سعد بأشهر ، بعث الله تعالى ملكين لشق صدره الشريف وتطهيره ، فوجداه صلى الله عليه وسلم مع أخيه من الرضاع خلف البيوت ، فأضجعاه وشقا صدره الشريف ، وطهراه من حظ الشيطان ، ثم أطبقاه ، فذهب ذلك الأخ إلى أمه حليمة وأبلغها الخبر ، فخرجت إليه هى وزوجها . فوجداه صلى الله عليه وسلم ممتقع اللون من آثار الروع ، فالتزمته حليمة والتزمه زوجها ، حتى ذهب عنه الروع ، فقص عليهما القصة كما أخبرهما أخوه . وقد أحدثت هذه الحادثة عند حليمة وزوجها خوفا عليه ، ومما زادها خوفا أن جماعة من نصارى الحبش ، كانوا رأوه معها فطلبوه منها ، ليذهبوا به إلى ملكهم فخشيت عليه من بقائه عندها ، فعادت به صلى الله عليه وسلم إلى أمه ، وأخبرتها الخبر ، وتركته عندها ، مع ما كانت عليه من الحرص على بقائه معها .

وفاة أمه صلى الله عليه وسلم

وكفالة جده وعمه له

بعد أن عادت حليمة السعدية به صلى الله عليه وسلم إلى أمه ، وكان إذ ذاك فى السنة الرابعة من عمره الشريف ، بقى مع أمه وجده عبد المطلب بن هاشم بمكة ، فى حفظ الله تعالى ينبته الله نباتا حسناً ، ثم سافرت به أمه صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة ، لزيارة أخواله هناك من بنى عدى بن النجار فتوفيت وهى راجعة به من المدينة إلى مكة بجهة « الأبواء » بالقرب من المدينة ودفنت هناك ، فقدمت به إلى مكة حاضنته أم أيمن ، وقد بلغ من العمر يومئذ ست سنين ، ولما وصلت به إلى مكة كفله جده عبد المطلب بن هاشم ، وحن إليه حنانا زائداً ، وعطف عليه عطفا بليغا ، حتى توفى جده عبد المطلب وعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمان سنين .

وكان جده عبد المطلب يوصى به عمه أبا طالب ، الذى هو الأخ الشقيق لأبيه ، فلما مات عبد المطلب ، كان صلى الله عليه وسلم فى كفالة عمه أبى طالب يشب على محاسن الأخلاق ، متباعداً من صغائر الأمور ، التى يشتغل بها الصبيان عادة .

سفره

صلى الله عليه وسلم مع عمه أبى طالب إلى الشام

لما أراد أبو طالب أن يسافر إلى الشام فى تجارة له ، رغب رسول الله

صلى الله عليه وسلم أن يرافقه ، فأخذه معه ، وسنه إذ ذاك اثنتا عشرة سنة ولما وصلوا « بصرى » وهى أول بلاد الشام من جهة بلاد العرب ، قابلهم بها راهب من رهبان النصارى اسمه « بحيرا » كان يقيم فى صومعة له هناك ، فسألهم عن ظهور نبى من العرب فى هذا الزمن ، ثم لما أمعن النظر فى النبى صلى الله عليه وسلم وحادثه ، عرف أنه النبى العربى ، الذى بشر به موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وقال لعمه : إنه سيكون لهذا الغلام شأن عظيم ، فارجع به واحذر عليه من اليهود ، فلم يمكث أبو طالب فى رحلته هذه طويلا ، بل عاد به إلى مكة حين فرغ من تجارته ، وبقى صلى الله عليه وسلم فى مكة مثال الكمال ، محفوظاً من معايب أخلاق الجاهلية ، شهما شجاعاً ، حتى إنه حضر مع عمه حرب « الفجار »[1] ، وحلف الفضول [2] وسنه إذ ذاك عشرون سنة .

رحلته إلى الشام مرة ثانية
فى تجارة لخديجة بنت خويلد

كان طريق الكسب فى قريش التجارة ، وكانت خديجة بنت خويلد من

---

(١) هى حرب كانت بين قبيلة كنانة ومعها حليفتها قريش ، وبين قيس ، وقد ابتدأت هذه الحروب فيما بين مكة والطائف ، ووصلت إلى الكعبة ، فاستحلت حرمات هذا البيت الذى كان مقدسا عند العرب ، ولذلك سميت حرب الفجار .

(٢) حلف الفضول : كان عقب هذه الحرب ، وهو تعاقد بطون قريش على أن ينصروا كل من يجدونه مظلوما بمكة سواء أكان من أهلها أو من غير أهلها .

بنى أسد بن عبد العزى بن قصى . سيدة ذات مال : تتاجر فى مالها بطريق المضاربة مع من تثق به من الرجال ، فلما سمعت بأمانة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه حتى اشتهر بين قومه باسم (الأمين) بعثت إليه وعرضت عليه أن يسافر بمال لها إلى الشام ، وتعطيه من الربح أكثر مما كانت تعطى غيره ، فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسافر بمالها مع غلامها ميسرة ، فباع واشترى وعاد بربح عظيم .

وقد شاهد ميسرة فى هذه الرحلة كثيراً من بركات النبى صلى الله عليه وسلم وإكرام الله تعالى له ، فإنه صلى الله عليه وسلم لما قدم الشام ، نزل فى ظل شجرة قريباً من صومعة راهب هناك ، فقال هذا الراهب لميسرة : إنه ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى ، وكان ميسرة يشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مظللا من حر الشمس وهو يسير على بعيره بدون أن تكون معه مظلة .

زواجه صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة بنت خويلد

لما قدم ميسرة إلى سيدته خديجة ، وأخبرها بما شاهد من بركات النبى صلى الله عليه وسلم وإكرام الله تعالى له . بعثت إلى رسول الله ﷺ فقالت له : يا ابن عم إنى قد رغبت فيك لقرابتك وأمانتك ، وصدق حديثك ، وكانت خديجة مرغوبا فيها لشرف نسبها ورفعة قدرها بين قومها فعرض النبي صلى الله عليه وسلم الأمر إلى أعمامه ، فوافقوه على زواجه

صلى الله عليه وسلم بها وتوجهوا معه إليها وأتموا عقد الزواج بينهما وتولاه عنها عمها عمرو بن أسد . كما تولاه عن النبي صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب وكان صداقها عشرين بكرة ، وكان سن السيدة خديجة أربعين سنة ، وسنه صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة ، ولم يتزوج عليها النبي صلى الله عليه وسلم حتى توفيت رضى الله عنها ، وذلك قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بثلاث سنين ، وقد جاء منها بأولاده كلهم — ماعدا إبراهيم — وأولهم القاسم ، وبه كان يكنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتليه زينب ، ثم رقية ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم عبد الله الملقب بالطيب وبالطاهر ، وكانت متزوجة قبله صلى الله عليه وسلم برجل اسمه أبو هالة ، وولدت منه ولداً اسمه هنه ، فكان ربيب رسول الله ﷺ .

بقية أزواجه

صلى الله عليه وسلم وأعمامه وعماته

بعد وفاة السيدة خديجة بأيام ، تزوج صلى الله عليه وسلم بالسيدة سودة بنت زمعة العامرية القرشية[١]، ثم تزوج بالسيدة عائشة[٢] بنت سيدنا أبي بكر

---

(١) قد كانت من السابقين إلى الإيمان ، وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة فى المرة الثانية ، وعقب رجوعه منها توفى عنها ، فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم، وهى التى وهبت يومها لعائشة .

(٢) وكانت أفقه نساء الأمة وأعلمهن على الإطلاق وكان أكابر الصحابة يرجعون إلى قولها ويستفتونها ، وما نزل الوحى على النبي ﷺ فى فراش امرأة غيرها.

الصديق رضى الله عنهما وهى بكر صغيرة بين السادسة والسابعة من عمرها . وبنى بها وهى بنت تسع سنين ، وكانت أحب نسائه إليه ، ثم تزوج بالسيدة حفصة بنت سيدنا عمر بن الخطاب ، ثم تزوج بالسيدة زينب بنت خزيمة بن الحارث القيسية ، وتوفيت بعد بنائه بها بشهرين ، ثم تزوج بالسيدة أم سلمة هند بنت أبى أمية القرشية المخزومية ، ثم تزوج بالسيدة زينب بنت جحش من بنى أسد بن خزيمة ، ثم تزوج بالسيدة جويرية بنت الحارث من بنى المصطلق(١) ، ثم تزوج بالسيدة صفية بنت حيى بن أخطب سيد بنى النضير ، ثم تزوج بالسيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية ، وهى آخر من تزوج بهن .

وقد توفى صلى الله عليه وسلم عن تسعة من نسائه وهم : عائشة ، وحفصة ، وزينب بنت جحش ، وأم سلمة ، وصفية ، وأم حبيبة ، وميمونة وسودة ، وجويرية .

وأول من توفى بعده منهن : زينب بنت جحش ، وآخرهن أم سلمه ، وقد تسرى صلى الله عليه وسلم بأربع إماء ، منهن مارية القبطية ، وهى أم ولده إبراهيم الذى توفى قبل الفطام فى السنة العاشرة من الهجرة .

---

(١) وكانت من سبايا بنى المصطلق، فتزوجها صلى الله عليه وسلم بعد أن أعتقها ليقتدى به المسلمون ، فأعتقوا من كان بأيديهم من نساء بنى المصطلق إكراما لمصاهرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ، فأسلم بنو المصطلق جميعا فكانت جويرية أيمن امرأة على قومها .

وكان أعمامه صلى الله عليه وسلم أحد عشر، لم يسلم منهم سوى سيدنا حمزة ، وسيدنا العباس ، وهو أصغرهم ، ولم يكن منهم شقيق لوالد رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى أبي طالب ، والزبير .

وعماته ست ، لم يسلم منهن سوى السيدة صفية والدة سيدنا الزبير ابن العوام .

وكان له صلى الله عليه وسلم موال كثيرون ، ذكور وإناث ، أعتق أكثرهم ، منهم زيد بن حارثة ، أعتقه وزوجه مولاته أم أيمن فولدت سيدنا أسامة بن زيد رضى الله عنه .

وقد تشرف بخدمته صلى الله عليه وسلم كثيرون ، منهم أنس بن مالك وعبد الله بن مسعود ، وبلال بن رباح ، وأبو ذر الغفارى .

وكان من كتابه صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق ، وعمر ، وعثمان وعلى ، ومعاوية ، والزبير ، وعمرو بن العاص ، وكثير غيرهم ، كانوا يكتبون الوحى والعهود ، وكتبه صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء .

شهوده صلى الله عليه وسلم بناء الكعبة

الكعبة هى أول بيت وضع فى الأرض للعبادة ، وقد بناها سيدنا إبراهيم الخليل مع ولده سيدنا إسماعيل عليهما السلام . ثم جدد بناؤها من بعده ثلاث مرات ، وكان بناؤها من الصخر وارتفاعها فوق القامة .

وعندما بلغ سن النبي صلى الله عليه وسلم خمساً وثلاثين سنة ، اتفق أن

نزل سيل عظيم بمكة ، أثر فى جدران الكعبة فأوهنها — على ما كانت عليه من الضعف بسبب حريق أصابها من قبل فاجتمعت قبائل قريش وشرعوا فى هدمها وبنائها بناء مرتفعاً ، وكان الأشراف منهم يتسابقون فى نقل الحجارة وحملها على أعناقهم . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن يحمل الحجارة وينقلها إلى مكان البناء ، مع عمه العباس رضى الله عنه .

ولما تم بناء الكعبة (١) . وأرادت قريش وضع الحجر الأسود فى موضعه اختلف أشرافهم فيمن يضعه . وظلوا مختلفين أربعة أيام . فأشار عليهم أبو أمية الوليد بن المغيرة ، هو أكبرهم سنا بأن يحكموا بينهم من يرضون بحكمه . فاتفقوا على أن يكون الحكم لأول قادم من باب الصفا (٢) . فكان أول داخل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم . فارتاحوا جميعا لما يعهدونه من أمانته ، وحكمته ، وصدقه ، وإخلاصه للحق . وقالوا : هذا الأمين رضيناه . هذا محمد ا فلما وصل إليهم وأخبروه الخبر . بسط رداءه وتناول الحجر فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بطرف من الرداء ثم ارفعوه جميعا . ففعلوا حتى وصلا

---

(١) بارتفاع ثمان عشر ذراعا . بحيث يزيد عن أصله تسعة أذرع ، وقد رفع الباب بحيث لا يصعد إليه إلا بدرج .

(٢) أى من الجهة التى كان موضعها — بعد بناء المسجد — باب الصفا ، من أبواب المسجد الحرام . فإن المسجد لم يكن قد بنى وقتئذ ، وكانت البيوت محيطة برحاب الكعبة ، إلى أن بناه سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بعد أن أزال البيوت لتوسعة مكانه . ثم جدد بعد ذلك ووسع فيه حتى صار إلى ما هو عليه الآن .

به إلى موضعه . فوضعه فيه بيده صلى الله عليه وسلم ، وبذلك انتهت هذه المشكلة . التى كادت تؤدى إلى الحرب والقتال فيما بينهم .

معيشته صلى الله عليه وسلم
قبل البعثـــة

ولد — صلى الله عليه وسلم — يتيما ، ولم يترك له والده مالا ، فبعد أن رجع إلى مكة من منازل بنى سعد التى كانت موضع رضاعته كان فى كفالة جده عبد المطلب . ثم فى كفالة عمه أبى طالب . ولما بلغ سنا يمكنه أن يعمل عملا . كان فى بعض الأحيان يرعى الغنم لأهلها . بأجر ينفق منه على نفسه ، ثم كان يعمل فى التجارة ، وكان أكثر ذلك فى مال السيدة خديجة رضى الله عنها .

فكانت معيشته صلى الله عليه وسلم — منذ قدر على الكسب — من عمل يده مكتفيا بالكفاف ، ومقتصرا من الدنيا على قدر الحاجة . وهكذا حال الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . لم يشغلهم الله تعالى بأمر الدنيا إلا على قدر الحاجة . ليتفرغوا لما أراده الله تعالى منهم من إرشاد الخلق إلى طرق السعادة فى دار البقاء والخلود

وقد نشأ صلى الله عليه وسلم من مهد طفولته كاملا ، حفظه الله تعالى

فى صغره من معايب الأخلاق (١) . إلى أن بلغ مبلغ الرجال . فكان أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقا ، وأصدقهم حديثا ، وأعظمهم أمانة حتى كان يسمى فيما بين قومه (الأمين) وشهد له بذلك العدو والصديق .

وقد حفظه الله تعالى منذ نشأته من قبيح أحوال الجاهلية ، وبغض إليه أوثانهم حتى أنه من صغره ما كان يحلف بها ، ولا يحترمها ، ولا يحضر لها عيداً أو احتفالا ، وكان لا يأكل ماذبح على النصب (٢) ، ولا يشرب الخمر . مع شيوعه فى قومه .

وحفظه الله تعالى من النقائص والأدناس قبل النبوة . كما عصمه بعد النبوة .

شىء مما أكرمه الله تعالى به قبل البعثة

وقد أكرم الله آل حليمة السعدية التى أرضعته صلى الله عليه وسلم فبدل عسرهم يسراً ، وأشبع غنيماتهم ، وأدر دروعها فى سنة الجدب والشدة . كما

---

(١) وورد عنه ﷺ فى حديث له عما كان الله تعالى يحفظه به فى صغره من معايب الأخلاق ، أنه كان فى غلمان من قريش ينقلون الحجارة لبعض ما يلعب به الغلمان فكان كل واحد منهم يجعل إزاره على رقبته ليحمل عليه الحجارة فيتعرى فجاءه من أرشده إلى شد إزاره ، فكان يحمل الحجارة على رقبته بدون حائل ، وإزاره يستره من بين أصحابه صلى الله عليه وسلم .

(٢) النصب بضمتين : حجارة كانوا ينصبونها ويصبون عليها دم الذبائح ويعبدونها .

بارك سبحانه وتعالى فى رزق عمه أبى طالب حينما كان فى كفالته مع ضيق ذات يده كما كان سبحانه وتعالى يسخر له الغمامة تظله — وحده — من حر الشمس فى سفره إلى الشام فتسير معه أنى سار ، دون غيره من أفراد القافلة .

وكان سبحانه وتعالى يلهمه الحق ، ويرشده إلى المكارم والفضائل فى أموره كلها . حتى أنه كان إذا خرج لقضاء حاجة فى سفره ، بعد عن الناس حتى لايرى .

وقد كان علماء اليهود والنصارى — رهبانهم وكهنتهم — يعرفون زمن مجيئه صلى الله عليه وسلم : مما جاء من أوصافه فى التوراة ، وما أخبر به المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام : فكانوا يسألون عن مولده وظهوره وقد عرفه كثيرون منهم . لما رأوا ذاته الشريفة : أو سمعوا بأوصافه وأحواله صلى الله عليه وسلم .

تعبده صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

كان صلى الله عليه وسلم قبل نبوته . يتتبع مايثبت عنده وما يرشده الله تعالى إليه من شرائع الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام ، ولا سيما شريعة أبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فيتعبد بذلك ، ولم تثبت بالأحاديث الصحيحة كيفية تعبده صلى الله عليه وسلم والذى ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يختلى فى غار حراء من كل سنة شهرا ، وكان يوافق ذلك شهر رمضان يعبد الله تعال بالفكر ، ويطعم المساكين مما كان يتزود به فى مدة خلوته .

وكان إذا انتهى من خلوته ، ينصرف إلى الكعبة ، فيطوف بها سبعا ،

أو ماشاء الله من ذلك ، قبل أن يرجع إلى بيته .

وكان يحب العزلة والخلوة من زمن طفولته ، إلى أن بعثه الله تعالى رحمة للعالمين .

بدء الوحى وفترته وعودته

كيفية الوحى وطرقه ومبدؤه

وتاريخ النبوة ، والبعثة المحمدية

الوحى : هو مايلقى إلى الأنبياء من عند الله تعالى ، وله طرق ومراتب منها الرؤيا الصادقة : فرؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من قبيل الوحى ومنها : أن يلقى الملك فى روع النبى وقلبه ، مايوحى به الله إليه ، من غير أن يرى له صورة .

ومنها أن يأتى الملك إلى النبى ، متمثلا بصورة رجل ، فيخاطب النبى حتى يأخذ عنه مايقول له ويوحى به إليه . وفى هذه الحالة لامانع من أن يراه الناس أيضا .

ومنها أن يأتى الملك فى صورته الأصلية : التى خلقها الله تعالى عليها ويراه النبى كذلك . فيوحى إليه ماشاء الله أن يوحيه .

وأحيانا يأتى الملك مخاطباً النبى بصوت وكلام مثل صلصلة الجرس (١)

---

(١) أى صوته .

وهذه الحالة أشد أحوال الوحى على النبي ، فقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم عندما يأتيه الوحى بهذه الكيفية ، يعرق حتى يسيل العرق من جبينه فى اليوم الشديد البرد ، وإذا أتاه وهو راكب ، بركت به ناقته .

وقد يكون الوحى بكلام الله تعالى للنبي ، بدون واسطة الملك ، بل من وراء حجاب ، كما حصل لنبينا صلى الله عليه وسلم .

وأول مابدىء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، من الوحى ، الرؤيا الصادقة ، فكان لايرى رؤيا ، إلا حصلت فى اليقظة كما رآها ، وذلك عند ماكمل سنه أربعين سنة ، وهو سن الكمال ، وذلك فى شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل ، الذى كان فيه مولده صلى الله عليه وسلم .

فلما أراد الله عز وجل إرساله إلى الخلق ، أرسل إليه سيد ملائكته الأمين « جبريل » عليه السلام ، فجاءه متمثلا بصورة رجل ، وهو فى خلوته بغار حراء ، وكان ذلك فى شهر رمضان من تلك السنة ، ففاجأه بقوله :

إقرأ ! فقال : ماأنا بقارىء ، لأنه صلى الله عليه وسلم كان أميا ، لم يتعلم القراءة — فغطه جبريل عليه السلام فى فراشه غطاً شديداً (١) ، ثم أرسله فقال : إقرأ ! فقال : ما أنا بقارىء . ثم غطه وأرسله فقال : (اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم) فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) أى ضمه وعصره بشدة .

وانصرف عنه جبريل ، فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهله يرجف فؤاده بما أدركه من الروع ، وقال « زملونى (١) » فلما ذهب عنه الروع أخبر زوجته خديجة رضى الله عنها بما كان ، فقالت له : « أبشر يابن عم واثبت ، فإنى لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة » ثم ذهبت معه إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان شيخا كبيرا يعرف الإنجيل وأخبار الرسل . فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بما رآه . فقال له ورقة : هذا الناموس الذى أنزل على موسى .

وبعد ذلك فتر الوحى وانقطع مدة تقدر بسنتين ونصف سنة ، اشتد فيها شوق النبي صلى الله عليه وسلم إلى الوحى ، وشق عليه تأخره عنه ، فبينما هو صلى الله عليه وسلم يمشى فى أفنية مكة ، إذ سمع صوتا من السماء ، فرفع بصره ، فإذا الملك الذى جاءه بغار حراء وهو جبريل عليه السلام ، فعاد إليه الرعب الذى لحقه فى بدء الوحى ، وعاد إلى أهله ، وقال « دثرونى دثرونى » فأوحى الله له تعالى (يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر) فكان ذلك مبدأ الأمر له ، صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الإسلام ، وبعد ذلك تتابع الوحى ولم ينقطع ، حتى أكمل الله تعالى دينه ، وأتم نعمته .

ومما سبق يظهر أن نبوته صلى الله عليه وسلم ، سابقة على رسالته .

---

(١) أى اطرحوا على الغطاء ولفونى به

الدعوة إلى الإسلام سراً

عندما نزل الوحي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بتبليغ الرسالة للناس ، بل كان الأمر فى ذلك قاصراً على إبلاغه رسالة ربه إليه ، وتمجيده جل وعلا بما جاء فى أوائل سورة (اقرأ باسم ربك) وبعد أن فتر الوحى ، دعا بأمر الله تعالى له بأنه يقوم بتبليغ رسالة ربه .

ولما كان أهل مكة — الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم — قوما جفاة ، متخلقين بأخلاق تغلب عليها العزة والأنفة ، وفيهم سدنة الكعبة والقوام على الأوثان والأصنام . التى كانت مقدسة عند سائر العرب يعبدونها ويتقربون إليها بالذبائح والهدايا . ولا يعرفون ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولا ينقادون إليه بسهولة ، كان من حكمة الله تعالى تلقاء ذلك ، أن تكون الدعوة إلى دين الإسلام فى مبدأ أمرها سرية ، لئلا يفاجئوا بما يهيجهم وينفرون منه ، ويكون سببا لشن الغارات والحروب وإراقة الدماء .

والداعى — صلوات الله عليه وسلامه ، لم يكن له إذ ذاك ناصر ولا معين من خلق الله ، ومن سنة الله تعالى فى خلقه ربط الأسباب بالمسببات ، فلم يأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ، بالجهر بالدعوة من قبل أن يهيء له أسباب النصر والفوز على من يقاومه فى ذلك ، خصوصا أن قومه الذين بعث فيما بينهم كانوا أشد الناس تمسكا بمعبوداتهم ، وحرصا على ما كان عليه آباؤهم .

ومن الناس من هو عظيم فى قومه ، رفيع الدرجة فيما بينهم ، ومنهم من هو دون ذلك فالعظماء من الناس تمنعهم أنفتهم من إجابة الداعى لهم ، إلى مفارقة ماعليه جماعتهم ، ونبذ مابينهم من الروابط القومية ، والعادات المتأصلة إذ كل فرد منهم يرى أن انفراده بالرضوخ للصغير ، ينقصه فى نظر قومه ، فإذا فوجىء هؤلاء الأعاظم بإعلان الدعوة إلى غير ما كانوا عليه ، ظهروا بمظهر المنكر المعاند ، وقاوموا الدعوة بجملتهم .

وغير العظماء تبع للعظماء والرؤساء فإذا دعوا إلى مخالفة ماعليه أولئك العظماء جهاراً لم يجسروا على إجابة الداعى ، متى لم يسبقهم إلى ذلك أفراد من العظماء .

فإعلان الدعوة يحتاج إلى مقدمة يستأنس بها الفريقان ، وما ذلك إلا باجتذاب أفراد من هؤلاء وهؤلاء خفية ، حتى إذا تكونت منهم جماعة وأعلنت بهم الدعوة ، سهل على غيرهم أن ينبذوا تقاليد قومهم ويتبعوا مايدعوهم إليه الداعى مما تنشرح لهم صدورهم ولا تأباه فطرتهم .

وقد ابتدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الدعوة الإفرادية فيمن يعرفهم ويعرفونه ، ويطمئن إليهم ، ويثق بهم ، ويتوسم فيهم الخير وحب الحق من أهله وعشيرته ، فبادر إلى التصديق والإيمان به أفراد قليلون ، كانوا يخفون إسلامهم عمن عداهم . ويقيمون صلاتهم . وما أمروا به من العبادات خفية لا يظهرون بذلك فى مجامع قريش ، بل ربما كان الواحد منهم يختفى لعبادته عن أهله وولده ، وكانوا يجتمعون بالنبى صلى الله عليه وسلم وحداناً

وجماعات مع الاختفاء والتحاشى عن الظهور ، ولما بلغوا عدداً يربو على الثلاثين ، اختار لهم النبي صلى الله عليه وسلم داراً فسيحة من دورهم يجتمعون فيها معه لإرشادهم وتعليمهم أمور دينهم .

وكان أول من بادر إلى الإسلام : خديجة بنت خويلد زوجته صلى الله عليه وسلم . وابن عمه على بن أبي طالب وعمره إذ ذاك عشر سنين ، وكان مقيما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . وزيد بن حارثة الذى كان مملوكا للسيدة خديجة ووهبته للنبى صلى الله عليه وسلم . وأعتقه وتبناه . وزوجه مولاته وحاضنته أم أيمن . وقد كانت أيضاً من السابقين إلى الإسلام .

وأبو بكر الصديق رضى الله عنه . وكان صديقاً للنبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة . يعرف صدقه . فعندما أخبره برسالة الله أسرع بالتصديق وقال « بأبى أنت وأمى ، أهل الصدق أنت . أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله » وقال النبي صلى الله عليه وسلم فى حقه « مادعوت أحداً إلى الإسلام ، إلا كانت له كبوة ، غير أبى بكر » وكان رضى الله عنه عظيما فى قومه ، يثقون برأيه فدعا إلى الإسلام من توسم فيهم الإجابة ، فأجابه عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ، وأتى بهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا ، ثم أسلم أبو عبيدة عامر بن الجراح وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وسعيد بن زيد العدوى وأبو سلمة المخزومى وخالد بن سعيد بن العاص وعثمان بن مظعون وأخواه قدامة وعبيد الله ، والأرقم بن أبى الأرقم ، وكل هؤلاء من بطون قريش :

ومن غيرهم: صهيب الرومى ، وعمار بن ياسر ، وأبو ذر الغفارى وعبدالله ابن مسعود وغيرهم .

وقد استمرت هذه الدعوة السرية ثلاث سنين . أسلم فيها جماعة لهم شأن فى قريش . وتبعهم غيرهم . حتى فشا ذكر الإسلام وتحدث به الناس فجاء وقت الجهر بالدعوة .

الجهر بالدعوة

بعد أن مضى على الإسرار بالدعوة ثلاث سنين . كثر دخول الناس فى دين الإسلام من أشراف القوم ومواليهم رجالهم ونسائهم ففشا ذكر الإسلام بمكة . وتحدث به الناس . فأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهر بالدعوة وأنزل عليه (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) فبادر بامتثال أمر ربه . وأعلن لقومه الدعوة إلى دين الله تعالى وصعد على الصفا ونادى بطون قريش فلما اجتمعوا قال لهم «أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟» قالوا : نعم ! ماجربنا عليك كذباً فقال : «فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد» ثم أنزل الله تعالى على رسوله (وأنذر عشيرتك الأقربين) فجمع من بنى عبد مناف نحو الأربعين . وقال لهم «ما أعلم إنسانا جاء قومه بأفضل مما جئتكم به وقد جئتكم بخيرى الدنيا والآخرة ، وقد أمرنى الله أن أدعوكم إليه ، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعا ماغررتكم والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة» .

واستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إعلان الدعوة إلى الله وتوحيده حتى ظهر لقومه أن هذه الدعوة فيها عيب معبوداتهم الباطلة وتسفيه عقول من يعبدونها فنفروا منه وأظهروا له العداوة فذهب جماعة منهم إلى عمه أبى طالب وطلبوا منه أن يمنعه عن عيب آلهتهم ، وتضليل آبائهم ، وتسفيه عقولهم ، أو يتنازل عن حمايته ، فردهم أبو طالب رداً جميلا واستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يصدع بأمر الله تعالى ، وينشر دعوته ويحذر الناس من عبادة الأوثان ، ولما لم يطيقوا الصبر على هذا الحال ، عادوا إلى أبى طالب وطلبوا منه أن يكفه ، أو ينازلوه وإياه فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ، فعظم الأمر على أبى طالب ، وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ، « والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ، على أن أترك الأمر مافعلت ، حتى يظهره الله ، أو أهلك دونه ، فقال أبو طالب : اذهب فقل ماأحببت فوالله لاأسلمك لشىء أبداً .

ولما رأت قريش تصميم أبى طالب على نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم واتفاق بنى هشام ، وبنى المطلب معه فى ذلك ، وكان وقت الحج قد قرب وخافوا من دعوته فى أنفس العرب الوافدين لزيارة الكعبة ، اجتمعوا وتداولوا فيما يصنعون فى مقاومة ذلك .

ثم اتفقوا على أن يذيعوا بين الوافدين إلى مكة من العرب ، أنه ساحر جاء بقول هو سحر ، يفرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء

وزوجته ، وبين المرء وعشيرته!! وصاروا يجلسون بالطرق ، حين جاء موسم الحج ، فلا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا له أمره .

ولكن الله تعالى أراد أن يكون ذلك سبباً في شيوع دعوته صلى الله عليه وسلم ، في بلاد العرب كلها .

ولما رأت قريش أنهم لم يفلحوا في إرجاع أبي طالب عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمايته ، وأنه قد انضم إليه في ذلك غيره وأن دعوة رسول الله في انتشار ، وأن المؤمنين به في ازدياد ، لجأوا إلى طريقة الأذى ، فأغروا سفهاءهم أن يتظاهروا بالاستهزاء برسول الله وإيذائه ، خصوصاً إذا ذهب إلى الصلاة ، وكان أبو جهل يحاول منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة عند الكعبة ، وقد أراد مرة أن يرض رأسه صلى الله عليه وسلم وهو ساجد ، ولكن الله تعالى حفظه منه ، فإنه لما قرب منه خانته قواه ، وسقط من يده الحجر الذى أعده لذلك ورجع إلى قومه مذعوراً ممتقع اللون ، وهو يقول : إنه قد تعرض لى فحل ما رأيت مثله قط ! هم بى ليأكلنى ، وقد تمثل جبريل عليه السلام بهذه الصورة حفظا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وتمادى ذلك الفاجر هو وأعوانه ، ومنهم عقبة بن أبى معيط ، فى التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى يحفظه ويرد كيدهم فى نحورهم .

وكان أبو لهب - وهو عمه عليه الصلاة والسلام - أشد عليه من الأباعد وكان من المؤذين : العاص بن وائل السهمى ، والد عمرو بن العاص ، والأسود ابن عبد يغوث الزهرى ، والأسود بن المطلب الأسدى ، ابن عم السيدة

خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، والوليد بن المغيرة ، عم أبي جهل ، والنضر بن الحارث العبدى ، ولم يسلم من هؤلاء أحد ، بل أهلكهم الله تعالى على الكفر ، مابين قتيل فى غزوة بدر ، ومعذب بأشد الأمراض وأشنعها. والله عزيز ذو انتقام .

ولما رأى كفار قريش ، أن طريق الأذى الذى لجأوا إليه ، لم يجدهم نفعا فيما يريدون اجتمعوا للشورى فيما يعملون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لإرجاعه عن أمره ، فاتفقوا على أن يبعثوا إليه عتبة بن ربيعة العبشمى — وكان من عظمائهم - ليعرض عليه أموراً ، لعله يقبلها عن هذه الدعوة ، فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلى فى المسجد ، وقال له : ياابن أخى إنك من خيارنا حسباً ونسباً ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم . وسفهت به أحلامهم ، وعبت آلهتهم ودينهم ، ومن مضى من آبائهم فإن كنت تريد بما جئت به من الأمر مالا. جمعنا لك من أموالنا. حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد شرفا. سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك وإن كنت تريد ملكا . ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا من الجن[1] . لاتستطيع رده عن نفسك . طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه . فلما فرغ من كلامه قرأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم سورة من القرآن ، فرجع عتبة إلى قومه وقال لهم : يامعشر قريش ! لقد سمعت قولا ماسمعت مثله . والله ماهو بالشعر ولا بالكهانة ولا بالسحر . فأطيعونى وامتنعوا عن الرجل ، فوالله ليكونن لكلامه الذى سمعت شأن ، فإن تصبه

---

(١) يقال رئى من الجن : أى مس .

العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فعزه عزكم . فقالوا : لقد سحرك محمد .

ولما لم تنفعهم هذه الحيلة . عمدوا إلى حيلة أخرى فعرضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . أن يشاركهم فى عبادتهم ، ويشاركوه فى عبادته !! فأنزل الله تعالى عليه سورة (قل ياأيها الكافرون) فلما يئسوا من ذلك . طلبوا منه أن ينزع من القرآن مايغيظهم من ذم الأوثان ، والوعيد الشديد . فأنزل الله تعالى عليه (قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ، إن أتبع إلا مايوحى إلى) .

ولما رأوا أن كل ذلك لم ينفعهم شيئا. لجأوا إلى طرق التعجيز. واستمروا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسئلة تعنت وعناد ، مثل قولهم (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً(١) أو تكون لك جنة من نخيل وعنب . فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً(٢) أو تأتى بالله والملائكة قبيلا(٣) أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه).

وكان يجيبهم عن ذلك بما يأمره الله تعالى به . مثل قوله تعالى :

(قل سبحان ربى . هل كنت إلا بشراً رسولا)

( ) أى عيناً غزيرة لاينقطع ماؤها .

(٢) أى قطعاً .

(٣) أى كفيلا بما تقول . شاهداً بصحته .

أمره صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة إلى الحبشة

لما عجزت قريش عن مقاومة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالطرق السابقة لجأوا إلى استعمال الشدة والأذى مع أصحابه ، فكل قبيلة كانت تسيء إلى من أسلم منها ، وهم يتحملون تلك الإساءات بالصبر الجميل ، فلم يفتنوا عن دينهم ، بل ثبتوا على يقينهم .

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما يصيب أصحابه من الأذى ، وهم غير قادرين على منعه ، لقلة عددهم ، وعدم استعدادهم إذ ذاك ، أشار عليهم أن يهاجروا إلى الحبشة ، حتى يجعل الله لهم فرجا مما هم فيه ، فهاجر إليها منهم عشرة رجال ، وخمس نسوة ، في مقدمتهم سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه وزوجه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومكثوا هناك ثلاثة أشهر ، رجعوا بعدها إلى مكة ، ولم يتمكنوا من دخولها إلا في حماية من أجارهم من عظماء القوم، وفي ذلك الوقت أسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان عمره حين إسلامه ستا أو سبعا وعشرين سنة ، ولما أسلم قال المشركون: قد انتصف القوم منا اليوم !!

ولما ضاقت الحيل بكفار قريش ، عرضوا على بني عبد مناف ، دية مضاعفة ليسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يقبل ذلك بنو عبد مناف ، فعرضت قريش على أبي طالب أن يعطوه فتى من فتيانهم ويسلم إليهم ابن أخيه دهم ، وقال لهم : عجباً لكم تعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه . ؟ .

ثم اتفق كفار قريش على مقاطعة بنى عبد مناف ، وإخراجهم من مكة والتضييق عليهم ، فلا يعاملونهم ببيع ولا شراء حتى يسلموا إليهم محمداً صلى الله عليه وسلم ، للقتل . وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها فى جوف الكعبة ، توكيداً على أنفسهم بذلك . فالتجأ بنو عبد مناف . مسلمهم ، وكافرهم، إلى أبى طالب . ودخلوا معه فى شعبه ، فحاصرهم فيه كفار قريش مدة تقرب من ثلاث سنين ، حتى نفد ماعندهم من الزاد ، واضطروا لأكل أوراق الأشجار. وبعد دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعب ، أشار على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة فهاجر إليها منهم ثلاثة وثمانون رجلا من بطون قريش ومعهم من نسائهم سبع عشرة امرأة ، ومن أخذوا من أولادهم ، ولما وصلوا إلى الحبشة — وكان ملكها عادلا — أكرمهم ، وأمنهم على عبادتهم . ومكنهم من إعلانها فلما علمت قريش بذلك . أرسلت إلى نجاشى الحبشة وفداً يحمل إليه وإلى بطارقته الهدايا ليرد هؤلاء المهاجرين ، ويمنعهم من الإقامة فى أرضه فلم يرض النجاشى بذلك بل استحضر المهاجرين إليه،وسألهم عماهم عليه من الدين فكلمه جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه . وأبان له ما كانت عليه حالتهم قبل الإسلام ، وما جاءهم به الإسلام عن ترك عبادة الأوثان ، وإفراد الله تعالى بالعبادة . وماأرشدهم إليه من مكارم الأخلاق ؛ وقرأ عليه جعفر أول سورة « مريم » المشتملة على قصة مولد المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، فقال النجاشى : إن هذا مثل الذى جاء به المسيح . ثم سألهم عما يتقوله عليهم وفد قريش فى حق المسيح ، فقال جعفر : نقول فيه الذى جاء به نبينا « هو عبد الله ، ورسوله ، وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول » فقال

النجاشى : إن عيسى بن مريم لايزيد على ذلك . ثم قال للمهاجرين : اذهبوا فأنتم آمنون . ورد على وفد قريش هداياهم . فرجعوا إلى قومهم خائبين !

بيعة أهل المدينة

لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن كفار قريش لاينفكون عن مقاومته ومعارضته فى تأدية رسالة ربه ، ألهمه الله تعالى أن يعرض نفسه على غيرهم من كبار العرب عسى أن يجد منهم حماية وعضداً يعينه على تأدية الرسالة ، وتبليغ الدعوة . فكان صلى الله عليه وسلم يخرج فى مواسم العرب وأسواقهم التى كانوا يقصدونها للتجارة والمفاخرة ، وخصوصا مواسم الحج داعيا إياهم إلى الله تعالى قارئا عليهم القرآن الكريم . طالبا منهم نصره حتى يؤدى رسالة ربه . فلم يكونوا يجيبونه . إلى أن قدم وفد من المدينة المنورة من قبيلة (الأوس) يريدون أن يعقدوا حلفا مع قريش لينصروهم على بنى عمهم (الخزرج) فلما علم النبى صلى الله عليه وسلم بقدومهم قابلهم وقال لهم هل لكم فى خير مما جئتم له ؟ أنا رسول الله ، بعثنى الله إلى العباد . أدعوهم إلى أن يعبدوه ولايشركوا به شيئا ، وتلا عليهم شيئا من القرآن ، وذكر لهم أمور الإسلام فمال بعضهم إلى قبول الإسلام ، وأبى الآخرون . فانصرف الجميع إلى المدينة دون أن يسلموا ، ثم وفد فى موسم الحج جماعة من الخزرج ، فقابلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ودعاهم إلى الإسلام وإلى معاونته فى تبليغ رسالة ربه وكانوا ستة رجال . فأسلموا جميعا ووعدوه المقابلة فى الموسم المقبل وهم أول من أسلم من عرب المدينة . فلما كان العام المقبل . وقدم خمسة منهم فى اثنى عشر

رجلا. عشرة من الخزرج ، واثنان من الأوس؛ واجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم عند العقبة ، وأسلم باقيهم ، وبايعوا كلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ألا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزنوا ، ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصوه فى معروف ، وأرسل معهم من يقرئهم القرآن ويفقههم فى الدين . وبذلك انتشر الإسلام فى دور المدينة وصار حديث القوم فى مجتمعاتهم ونواديهم . وقد سميت هذه البيعة : (بيعة العقبة الأولى) .

وفى موسم الحج . فى العام الذى يلى بيعة العقبة الأولى . وفد إلى مكة كثيرون من أهل المدينة . فقابلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعدهم المقابلة ليلا عند العقبة وأمرهم أن يكتموا أمرهم . فلا يطلع على ذلك أحد من كفار قريش . فتوجهوا إلى موعدهم فى منتصف الليل وكان مع النبى صلى الله عليه وسلم عمه العباس وكان باقياً على دين قومه ، وإنما أحضره معه ليتوثق له فلما اجتمعوا . قال لهم العباس : إن ابن أخى هذا لم يزل فى منعة من قومه . فإن كنتم ترون أنكم قوامون له بما دعوتموه إليه من البيعة ومانعوه ممن خالفه . فأنتم وما تحملتم من ذلك . وإلا فدعوه بين عشيرته فقال كبيرهم : إنما نريد الوفاء والصدق وبذل مهجنا دون رسول الله وطلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبين لهم شروط البيعة ؟ فقال « أشترط لربى أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئا ، ولنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم متى قدمت عليكم » فبايعوه على ذلك ، وكانوا ثلاثاً وسبعين رجلا . منهم اثنان وستون من الخزرج . وأحد عشر من الأوس ومعهم امرأتان . وسميت هذه البيعة (بيعة العقبة الثانية) .

واختار رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم اثنى عشر نقيبا . تسعة من الخزرج . وثلاثة من الأوس . وقال لهؤلاء النقباء « أنتم كفلاء على قومكم كل على عشيرته » فلما رجعوا إلى المدينة ظهر الإسلام فيها أكثر من المرة الأولى.

وقد شعرت قريش بهذه البيعة . فازداد أذاهم للمسلمين الموجودين بمكة فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بالهجرة إلى المدينة . فصاروا يتسللون إليها وحدانا وجماعات مختفين عن أعين قريش . حتى إنه لم يبق بمكة إلا أبو بكر الصديق وعلى بن أبي طالب . وقليلون ممن لم يقدروا على الهجرة؛ وقد أراد أبو بكر رضى الله عنه الهجرة فأشار عليه النبي صلى الله عليه وسلم بالانتظار حتى يأذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم بالهجرة فانتظر أبو بكر رضى الله عنه . وأعد لذلك راحلتين كانتا عنده إحداهما له والأخرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه
من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة

لما علم كفار قريش أن رسول الله ﷺ صارت له شيعة وأنصار من غيرهم . ورأوا مهاجرة أصحابه إلى أولئك الأنصار الذين بايعوه على المدافعة عنه حتى الموت . اجتمع رؤساؤهم وكبارهم فى دار الندوة ليتشاوروا فيما يصنعون بالنبي صلى الله عليه وسلم، فقال قائل منهم : نحبسه مكبلا بالحديد حتى يموت . وقال آخر : نخرجه وننفيه من بلادنا . فقال أحد كبرائهم : ماهذا

ولا ذاك برأى ، لأنه إن حبس ظهر خبره فيأتى أصحابه وينزعونه من بين أيديكم . وإن نفى لم تأمنوا أن يتغلب على من يحل بحيهم من العرب بحسن حديثه وحلاوة منطقه ، حتى يتبعوه ، فيسير بهم إليكم، فقال الطاغية أبو جهل الرأى أن نختار من كل قبيلة فتى جلداً ثم يضربه أولئك الفتيان ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه فى القبائل جميعا ولا يقدر بنو عبد مناف على حرب جميع القبائل ، فأعجبهم هذا الرأى، واتفقوا جميعا ، وعينوا الفتيان والليلة التى أرادوا تنفيذ هذا الأمر فى سحرها فأعلم الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بما أجمع عليه أعداؤه ، وأذن له سبحانه وتعالى بالهجرة إلى يثرب (المدينة المنورة) فذهب إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وأخبرة وأذن له أن يصحبه . واتفقا على إعداد الراحلتين اللتين هيأهما أبو بكر الصديق لذلك . واختارا دليلا يسلك بهما أقرب الطريق ، وتواعدا على أن يبتدئا السير فى الليلة التى اتفقت قريش عليها وفى تلك الليلة أمر عليه الصلاة والسلام ابن عمه على بن أبى طالب أن ينام فى مكانه . ويتغطى بغطائه ، حتى لا يشعر أحد بمبارحته بيته . ثم خرج صلى الله عليه وسلم وفتيان قريش متجمهرون على باب بيته وهو يتلو سورة « يس » فلم يكد يصل إليهم حتى بلغ قوله تعالى (فأغشيناهم فهم لا يبصرون) فجعل يكررها حتى ألقى الله تعالى عليهم النوم ، وعميت أبصارهم فلم يبصروه ، ولم يشعروا به وتوجه إلى دار أبى بكر ، وخرجا معا من خوخة فى ظهر البيت وتوجها إلى (جبل ثور) بأسفل مكة فدخلا فى غارة ، وأصبحت فتيان قريش تنتظر خروجه صلى الله عليه وسلم فلما تبين لقريش أن فتيانهم إنما باتوا يحرسون على بن أبى طالب ، لا محمداً صلى الله عليه وسلم ، هاجت

عواطفهم ، وارتكبوا فى أمرهم ، ثم أرسلوا رسلهم فى طلبه والبحث عنه من جميع الجهات ، وجعلوا لمن يأتيهم به مائة ناقة ، فذهبت رسلهم تقتفى أثره ، وقد وصل بعضهم إلى ذلك الغار الصغير الذى لو التفت فيه قليلا لرأى من فيه فحزن أبو بكر الصديق رضى الله عنه لظنه أنهم قد أدركوهما ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تحزن إن الله معنا » فصرف الله أبصار هؤلاء القوم وبصائرهم ، حتى لم يلتفت إلى داخل ذلك الغار أحد منهم بل جزم طاغيتهم ، أمية بن خلف بأنه لا يمكن اختفاؤهما به لما رأوا من نسج العنكبوت وتعشيش الحمام على بابه .

وقد أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه بالغار ثلاث ليال حتى ينقطع طلب القوم عنهما ، وكان يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر ، ثم يصبح فى القوم ويستمع منهم الأخبار عن رسول الله وصاحبه ، فيأتيهما كل ليلة بما سمع وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما بالطعام فى كل ليلة من هذه الليالى ، وقد أمر عبد الله بن أبى بكر غلامه بأن يرعى الغنم ويأتى بها إلى الغار ليختفى أثره وأثر أسماء .

وفى صبيحة الليلة الثالثة من مبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه بالغار ، وهى صبيحة يوم الإثنين فى الأسبوع الأول من ربيع الأول سنة الهجرة وهى سنة ثلاث وخمسين من مولده صلى الله عليه وسلم وسنة ثلاث عشرة من البعثة المحمدية جاءهما بالراحلتين عامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، وعبد الله ابن أريقط الذى كانا استأجراه ليدلهما على الطريق فركبا وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة ليخدمهما وسلك بهما الدليل أسفل مكة ثم مضى بهما فى طريق الساحر ، وبينما هم فى الطريق إذ لحقهم سراقة بن مالك المدلجى ، فلما قرب

منهم عثرت فرسه حتى سقط عنها ، ثم ركبها وسار حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو لايلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات فساخت قوائم فرس سراقة فى الأرض فسقط عنها ، ولم تنهض إلا بعد أن استغاث صاحبها بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد شاهد غباراً يتصاعد كالدخان من آثار خروج قوائم فرسه من الأرض ، فداخله رعب شديد ، ونادى يطلب الأمان ، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه حتى جاءهم وعرض عليهم الزاد والمتاع ، فلم يقبلوا منه شيئا ، وإنما قال له « أكتم عنا » فسألهم كتاب أمن ، فكتب له أبو بكر ماطلب بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاد سراقة من حيث أتى ، كأنما مارأى ، واستمر رسول الله وصاحبه فى طريقهما حتى وصلا « قباء »[1] فى يوم الإثنين من ربيع الأول ، فنزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنى عمرو بن عوف ، ونزل أبو بكر رضى الله عنه بالسنح[2] على خارجة بن زيد ، ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء ليالى أنشأ فيها مسجدا ، وصلى فيه عليه الصلاة والسلام بمن معه من المهاجرين والأنصار وقد أدركه صلى الله عليه وسلم بقباء على بن أبى طالب رضى الله عنه بعد أن أقام بمكة بعده بضعة أيام ليؤدى ما كان عنده من الودائع إلى أربابها .

وقد كان أهل المدينة حينما سمعوا بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرجون خارج المدينة يترقبون مقدمه كل يوم ؛ حتى يردهم حر الظهيرة ،

---

(١) موضع بضاحية المدينة .
(٢) محلة بالمدينة .

فبعد أن رجعوا إلى منازلهم يوما سمعوا من ينادى بأعلى صوته : يامعشر العرب هذا حظكم الذى تنتظرون ، فخرجوا وتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة [١] قبل نزوله بقباء .

ثم تحول عليه الصلاة والسلام من قباء إلى المدينة ، يحيط به الأنصار فرحين . متقلدى سيوفهم مابين ماش وراكب . يتنازعون زمام ناقته . كل يريد أن ينزلوه فى داره ، والنساء والصبيان والولائد ينشدون :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وكان ذلك فى يوم الجمعة ، فأدركته صلاتها فى ديار بنى سالم بن عوف فنزل وصلاها ، ثم ركب وسار ، وكلما مر على دار من دور الأنصار يتضرع إليه أهلها أن ينزل عليهم ، ويأخذون بزمام ناقته فيقول :

« دعوها فإنها مأمورة » فلم تزل سائرة حتى أتت فناء بنى عدى بن النجار ، أخواله صلى الله عليه وسلم . فبركت أمام دار أبى أيوب الأنصارى ، فقال عليه الصلاة والسلام: ههنا المنزل إن شاء الله تعالى ، ونزل بدار أبى أيوب وأقام بها شهراً حتى اشترى الموضع الذى بركت فيه الناقة ، وبنى فيه المسجد ، وبنى بجواره حجرتين لزوجتيه عائشة وسودة ، وأرسل إلى مكة من استحضر له أهله ، كما أرسل أبو بكر رضى الله عنه من استحضر أهله ، فقدمت سودة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، وفاطمة وأم كلثوم بنتاه ،

---

(١) هى الأرض ذات الحجارة السوداء .

وقدم عبدالله بن أبى بكر بزوجة أبيه وأخته عائشة ، وأسماء زوج الزبير ابن العوام وتلاحق المهاجرون فلم يبق من المسلمين إلا قليل ممن لم يتيسر لهم الرحيل ، أما زينب ابنته صلى الله عليه وسلم فمنعها زوجها أبو العاص ابن الربيع .

ولما تمت الهجرة إلى المدينة ، تنافس الأنصار فى المهاجرين ، كل يريد أن يكون له منهم الحظ الأوفر ، فكانوا يقترعون عليهم فى النزول ، ورأى رسول الله صلى الله عليه و لم أن يقوى الإخاء بينهم ، فآخى بين كل أنصارى ونزيله من المهاجرين ، فكان الأنصار يؤثرون المهاجرين على أنفسهم وذلك أعلى درجة تقضيها الأخوة فى الله تعالى .

الإسراء والمعراج

قبل هجرة النبى صلى الله عليه وسلم ، من مكة إلى المدينة المنورة بقليل أكرمه الله تعالى بالإسراء والمعراج .

أما الإسراء : فهو توجهه صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الذى فيه الكعبة المشرفة إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس (بالشام) ليريه الله سبحانه وتعالى من عجائب آياته ما يناسب قدره العظيم .

فقد ركب صلى الله عليه وسلم بأمر الله تعالى — البراق ، وهو دابة ليست كدوابنا هذه ، وإنما هى شىء سخره الله تعالى لرسوله إكراما وتعظيما

يضع ذلك البراق حافره عند منتهى طرفه فسار به من المسجد الحرام بمكة حتى وصل إلى بيت المقدس فى ليلته فدخل المسجد وصلى فيه بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام إماما .

وأما المعراج فهو بعد أن خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بيت المقدس ركب البراق وصعد به إلى السموات ، فكان كلما وصل إلى سماء يستفتح جبريل فيقال : من أنت ومن معك ؟ فيقول : جبريل ومحمد . فيقال : أوقد بعث إليه ؟ فيقول : نعم . فيفتح لهما مع الترحيب والدعاء بالخير حتى انتهيا إلى السماء السابعة ، وبعدها توجه صلى الله عليه وسلم إلى سدرة المنتهى ، وهناك شاهد مالا تدرك العقول البشرية حقيقته ، وأوحى الله تعالى إلى نبيه ما أوحى ، وفرض سبحانه عليه وعلى أمته فى ذلك الوقت خمسين صلاة فى كل يوم وليلة . ونزل صلى الله عليه وسلم حتى وصل إلى السماء السادسة ولقى فيها سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ، فأخبره بما فرض الله عليه وعلى أمته ، فأشار عليه أن يرجع فيسأل ربه التخفيف ، فإن أمته لا تطيق ذلك . فلم يزل يرجع بين ربه عز وجل وبين موسى عليه السلام حتى جعل الله تعالى الصلوات المفروضة خمساً فى الفعل ، وخمسين فى الأجر .

ثم رجع صلى الله عليه وسلم إلى مكة من ليلته ، فلما أصبح ذهب إلى قريش ، وأخبر القوم بما رآه ، فكذب من كذب ، وارتد بعض ضعاف القوم عن الإسلام ، ثم امتحنوه بوصف بيت المقدس ، فوصفه كما هو ،

ثم سألوه عن عير [1] لهم فى الطريق ، فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها ، ووقت قدومها ، فكان كما قال ، ومع ذلك لم تردعهم تلك الأدلة الظاهرة عن عنادهم وكفرهم . إلا من وفقه الله تعالى وثبته على دين الإسلام ، وفى صبيحة ليلة الإسراء جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأراه كيفية الصلوات الخمس وأوقاتها ، وكانت الصلاة قبل ذلك ركعتين صباحا ، وركعتين مساء ، كصلاة سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم .

تم القسم الأول

ويليـــه القسم الثانى

---

(١) قافلة تحمل تجارتهم .

القسم الثانى

القسم الثانى

من ملخص السيرة النبوية

الغزوات

أسباب الغزوات . ومشروعية القتال

بعد أن استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وكان بها اليهود من بنى قينقاع ، وقريظه ، والنضير ، أقرهم عليه الصلاة والسلام على دينهم وأموالهم ، واشترط لهم وعليهم شروطا . وكانوا مع ذلك يظهرون العداوة والبغضاء للمسلمين ، ويساعدهم جماعة من عرب المدينة ، كانوا يظهرون الإسلام وهم فى الباطن كفار ، وكانوا يعرفون بالمنافقين برأسهم عبد الله ابن أبى بن سلول ، وقد قبل صلى الله عليه وسلم من هاتين الفئتين (اليهود والمنافقين) ظواهرهم ، فلم يحاربهم ولم يحاربوه . بل كان يقاوم الإنكار بالحجج الدامغة والحكم البالغة ، ولم يكن يقاتل أحداً على الدخول فى دين الله بل كان يدعو إليه ويجاهد فى سبيله بإقامة ساطع الحجج ، وقاطع البراهين ولكن لما كانت قريش أمة معادية له مقاومة له ، لدعوته ومعارضة له فيها . وقد آذته وآذت المسلمين ، وأخرجتهم من ديارهم واستولت على ماتركوه بمكة من الأموال وآذت المستضعفين الذين لم يقدروا على الهجرة أذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بقتالهم وقتال كل معتد صاد عن الدعوة .

وأول مابدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك ، مصادرة تجارة قريش التى كانوا يذهبون بها إلى الشام والتى يجلبونها منها .

وكان بعد ذلك عندما تدعو الحال لقتال من يقف فى وجه الدعوة من قريش أو غيرهم ، يخرج إلى القتال بنفسه ومعه المقاتلون من المسلمين وتارة يبعث من المقاتلين من يختاره لقيادتهم ، وقد سمى المؤرخون ماخرج فيه النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه (غزوة) سواء أحارب فيها أم لم يحارب ، وسموا مابعث فيه أحد القواد (سرية) .

فنى السنة الأولى : من الهجرة ، بعث سريتين .

وفى السنة الثانية : غزا بنفسه سبع غزوات ، وبعث سرية واحدة ، وأكبر غزواتها غزوة بدر .

وفى السنة الثالثة : غزا بنفسه أربع غزوات ، وبعث سرية واحدة ، وأهم غزواتها أحد .

وفى السنة الرابعة : غزا ثلاث غزوات . وبعث ثلاث سرايا .

وفى السنة الخامسة : غزا أربع غزوات . أشهرها غزوة الخندق .

وفى السنة السادسة : غزا ثلاث غزوات ، وبعث إحدى عشر سرية ومن غزواتها غزوة الحديبية .

وفى السنة السابعة : غزا غزوة واحدة ، وهى غزوة خيبر ، وبعث ثلاث سرايا .

وفى السنة الثامنة : غزا أربع غزوات ، وبعث عشر سرايا ، وأكبر غزواتها غزوة فتح مكة ، وغزوة حنين .

وفى السنة التاسعة : غزا غزوة واحدة ، وهى غزوة تبوك وبعث سرية واحدة .

وفى السنة العاشرة : بعث سريتين وفيها حج حجة الوداع .

وفى السنة الحادية عشرة : بعث سرية واحدة .

فجملة الغزوات التى خرج للقتال فيها بنفسه صلى الله عليه وسلم سبع وعشرون غزوة ، وجملة السرايا التى بعث فيها القواد ولم يخرج فيها بنفسه خمس وثلاثون سرية .

غزوة بدر الكبرى

كان من عادة قريش أن تذهب بتجارتها إلى الشام لتبيع وتشترى فتمر فى ذهابها وإيابها بطريق المدينة ، ففى شهر جمادى الثانية من السنة الثانية للهجرة ، بعثت قريش بأعظم تجارة لها إلى الشام فى عير كبير[1] خرج بها أبو سفيان بن حرب فى بضعة وثلاثين رجلا من قريش فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرج إليهم فى مائة وخمسين رجلا من المهاجرين ، فلم يدركهم ، ولما علم برجوعهم من الشام خرج إليهم فى العشر الأوائل من شهر رمضان . فى ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا من المهاجرين والأنصار ، معهم فرسان ، وسبعون بعيرا وسار حتى عسكر بالروحاء[2] . وكان أبو سفيان حين قرب من الحجاز يسير محترسا ، فلما علم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ترك الطريق المسلوكة ، وسار بساحل البحر ، ثم بعث رجلا إلى مكة ليخبر قريشا ، ويستنفرهم لحفظ أموالهم ، فقام منهم تسعمائة

( ) كانوا يسمون الركب الخارج بالتجارة عيراً .

(٢) موضع على بعد أربعين ميلا من جنوب المدينة .

وخمسون رجلا ، فيهم مائة فارس وسبعمائة بعير ، فلما علم رسول الله ﷺ بخروج هذا الجمع ، استشار أصحابه فأشاروا بالإقدام ، فارتحل حتى وصل قريبا من وادى بدر ، فبلغه أن أبا سفيان قد نجا بالتجارة ، وأن قريشا وراء الوادى لأن أباجهل أشار عليهم بعد أن علموا بنجاة العير ألا يرجعوا حتى يصلوا بدراً فينحروا ويطعمون الطعام ويسقوا الخمور فتسمع بهم العرب فتهابهم أبداً ، فسار جيش المشركين حتى نزلوا بالعدوة القصوى[1] من الوادى وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه حتى نزلوا بالعدوة الدنيا من الوادى ، ولم يكن بها ماء فارسل الله تعالى الغيث ، حتى سال الوادى. فشرب المسلمون وملئوا أسقيتهم . وتلبدت لهم الأرض حتى سهل المسير فيها . أما الجهة التى كان بها المشركون ، فإن المطر أوحلها فتقدم النبى صلى الله عليه وسلم بجيشه حتى نزل بأقرب ماء من القوم . وأمر ببناء حوض يملأ ماء لجيشه ، كما أمر بأن يغور ماوراءه من الآبار حتى ينقطع أمل المشركين فى الشرب من وراء المسلمين . ثم أذن لأصحابه أن يبنوا له عريشاً يأوى إليه . فبنى له فوق تل مشرف على ميدان القتال .

فلما تراءى الجيشان [2] قام النبى صلى الله عليه وسلم بتعديل صفوف جيشه حتى صاروا كالبنيان المرصوص : ونظر لقريش فقال اللهم هذه قريش ، قد أقبلت بخيلائها وفخرها ، تحادك وتكذب رسولك . اللهم فنصرك الذى وعدتنى ثم برز ثلاثة من صفوف المشركين . وهم عتبة بن ربيعة وابنه

---

(١) عدوة الوادى : شاطئه ، القصوى: البعيدة ، والدنيا : القريبة .

(٢) وكان ذلك فى صبيحة يوم الثلاثا ١٧ رمضان من السنة الثانية للهجرة.

الوليد وأخوه شيبة وطلبوا من يخرج إليهم . فبرز لهم ثلاثة من الأنصار فقال المشركون إنما نطلب أكفاءنا من بنى عمنا (أى القرشيين) فبرز لهم حمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث ، وعلى بن أبى طالب فكان حمزة بإزاء شيبة ، وكان عبيدة بإزاء عتبة ، وكان على بإزاء الوليد . فأما حمزة وعلى فقد أجهز كل منهما على مبارزه وأما عبيدة فقد ضرب صاحبه ضربة لم تمته وضربه صاحبه مثلها . فجاء على وحمزة فأجهزا على مبارز عبيدة وحملا عبيدة وهو جريح إلى صفوف المسلمين (١) .

ثم بدأ الهجوم . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العريش يشجع الناس ويقول : (سيهزم الجمع ويولون الدبر) وأخذ من الحصباء حفنة ورمى بها فى وجوه المشركين قائلا : « شاهت الوجوه »(٢) « ثم قال لأصحابه : شدوا عليهم فحمى الوطيس(٣) وأمد الله تعالى المسلمين بملائكة النصر ، فلم تك إلا ساعة حتى انهزم المشركون وولوا الأدبار ، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون . فقتلوا منهم سبعين رجلا وأسروا سبعين ومن بين القتلى كثير من صناديدهم .

ولما انتهت الموقعة أمر عليه الصلاة والسلام بدفن الشهداء من المسلمين كما أمر بإلقاء قتلى المشركين فى قليب بدر ، ولم يستشهد من المسلمين سوى أربعة عشر رجلا رضى الله عنهم .

---

(١) وقد مات من آثار جراحه رضى الله عنه .

(٢) شاهت الوجوه : قبحت .

(٣) أى اشتدت الحرب .

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجمع الغنائم فجمعت ، وأرسل من يبشر أهل المدينة بالنصر ثم عاد عليه الصلاة والسلام بالغنائم والأسرى إلى المدينة فقسم الغنائم بين المجاهدين ومن فى حكمهم من المخلفين لمصلحة ، وحفظ لورثة الشهداء أسهمهم . وأما الأسرى : فرأى بعد أن استشار أصحابه فيهم أن يستبقيهم ويقبل الفداء من قريش عمن تريد فداءه فبعثت قريش بالمال لفداء أسراها ، فكان فداء الرجل من ألف درهم إلى أربعة آلاف درهم بحسب منزلته فيهم ومن لم يكن معه فداء وهو يحسن القراءة والكتابة أعطوه عشرة من غلمان المسلمين يعلمهم فكان ذلك فداءه .

وكان من الأسرى : العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعفه من الفداء مع أنه إنما خرج لهذه الحرب مكرها. وكان منهم أيضا : أبو العاص بن الربيع ، زوج زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد افتدته رضى الله عنها بقلادتها ، فردت إليها ، واشترط عليه النبي صلى الله عليه وسلم أن يمكنها من الهجرة إلى المدينة ، فوفى بشرطه ، وقد أسلم قبل فتح مكة ، فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم زوجته . ومنهم من من عليه النبي صلى الله عليه وسلم بغير فداء ، كأبى عزة الجمحى الذى كان يثير بشعره قريشا ضد المسلمين ، فطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفكه من الأسر ، على أن لا يعود لمثل ذلك ، فأطلقه على هذا الشرط .

ومن قتلى قريش أبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف . وعقبة وشيبة ابنا ربيعة ، وحنظلة بن أبى سفيان ، والوليد بن عتبة ، والجراح والد أبى عبيدة .

وأما شهداء بدر الأربعة عشرة ، فهم ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار ، فمن المهاجرين : عبيدة بن الحارث ، وعمير بن أبى وقاص . ومن الأنصار : عوف ، ومعوذ أبناء عفراء الخزرجيان ، وهما اللذان قتلا أباجهل ومنهم سعد بن خيثمة الأوسى ، أحد النقباء فى بيعة العقبة .

وهذه الغزوة الكبرى التى انتصر فيها المسلمون ذلك الانتصار الباهر مع قلة عددهم وعددهم . وكثرة عدد العدو وعدده ، من الأدلة الكبرى على عناية الله تعالى ، بالمسلمين الصادق العزيمة ، الممتلئة قلوبهم طمأنينة بالله تعالى وثقة بما وعدهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الفوز والنصر .

ولقد دخل بسببها الرعب فى قلوب كافة العرب فكانت للمسلمين عزاً وهيبة وقوة .

غزوة أحد

بعد أن مضى على غزوة بدر عام كامل ، وكانت عير قريش لم تزل موقوفة بدار الندوة ، اجتمع من بقى من عظمائهم إلى أبى سفيان ، واتفقوا على أن يتركوا ربح أموالهم فى تلك العير استعدادا لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ربحها نحو خمسين ألف دينار . فاجتمع منهم ثلاثة آلاف رجل : ومعهم حلفاؤهم من بنى المصطلق وغيرهم وخرجوا بالقيان والدفوف والخمور . ومعهم هند امرأة أبى سفيان . وخمس عشرة امرأة ليشجعنهم . وساروا حتى وصلوا إلى ذى الحليفة بالقرب من المدينة وقد كان العباس بن عبد المطلب بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب يخبره فيه بخروج القوم . فجمع عليه الصلاة

والسلام أصحابه وأخبرهم الخبر واستشارهم فى البقاء بالمدينة حتى إذا قدم إليها قاتلوهم فكان رأى الأكثرين الخروج للقاء العدو .

ففى يوم الجمعة لعشر خلون من شوال فى السنة الثالثة من الهجرة . صلى الجمعة بالناس وحضهم فى خطبتها على الثبات والصبر ثم دخل حجرته فلبس درعين . وتقلد السيف وألقى الترس وراء ظهره . ولما خرج للناس بعدته هذه . قال بعض من أشار بالخروج : نتبع ماعرضته من البقاء فقال « ما كان لنبى لبس سلاحه أن يضعه حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه » ثم عقد الألوية واستعرض الجيش . وسار بألف رجل حتى منتصف الطريق بين المدينة وجبل أحد[1] ، فرجع عبد الله بن أبى بن سلول رئيس المنافقين فى ثلاثمائة من أصحابه ، ثم سار الجيش حتى نزل الشعب من أحد ، وجعل ظهره للجبل ووجهه للمدينة ، وقد نزل المشركون ببطن الوادى ، بالقرب من أحد ، فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم الرماة وكانوا خمسين رجلا فجعلهم خلف الجيش على ظهر الجبل ، وأمرهم ألا يبرحوا مكانهم ، ثم عدل الصفوف وخطب فى الجيش بالنصائح والمواعظ ، ثم خرج من صفوف المشركين فبرز له الزبير بن العوام فقتله ، وقتل على بن أبى طالب حامل لواء المشركين وحمزة أرطاة وخرج من صفوف المشركين عبدالرحمن بن أبى بكر الصديق يطلب المبارزة فهم أبو بكر أن يبرز إليه فمنعه النبى صلى الله عليه وسلم قائلا له « متعنا بنفسك يا أبابكر » .

---

(١) أحد : جبل فى شمال المدينة

ثم التقت الصفوف ، وجعلت نساء قريش يضربن الدفوف ، وينشدن الأشعار تهييجا لرجالهن ، فدارت رحى الحرب . وكانت الغلبة للمسلمين . إلا أن الرماة لما رأوا انكشاف المشركين، ترك أكثرهم مكانهم الذى أمروا ألا يتحولوا عنه وتحولوا إلى العسكر وخلوا ظهر المسلمين للعدو ، واشتغل بعض الجيش بالغنائم . فاختلت الصفوف فتحولت فرسان المشركين بقيادة خالد ابن الوليد وجاءوهم من خلفهم ، فأصابوا فيهم وأذيع قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأضعف ذلك من عزائم الجيش ، وانهزم جماعة من المسلمين وانكشف مكان النبى صلى الله عليه وسلم للعدو فأصابته الحجارة ووقع لشقه فأصيبت رباعيته[1] وجرح وجهه وشفته ، ودخلت حلقتان من المغفر[2] فى وجنتيه ، وأحاط به الكفار ، فدافع دونه خمسة من الأنصار وعاد إليهم فئة من المسلمين ، حتى أجلوا الكفار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان ممن امتاز فى المدافعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الوقت سعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وأبو طلحة الأنصارى الذى نثر كنانته بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو دجانة الذى كان النبل يقع فى ظهره وهو منحن على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبعد أن أجلى الكفار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه كعب

---

(١) الرباعية : هى السن التى بين الناب والثنية .

(٢) المغفر : زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس ، وقد عالج أبو عبيدة ابن الجراح نزع هاتين الحلقتين من وجه رسول الله ﷺ حتى نزعهما وكسرت فى ذلك ثنيتاه رضى الله عنه .

ابن مالك الأنصارى فشرع ينادى يامعشر المسلمين أبشروا فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسكت . ثم سار عليه الصلاة والسلام نحو الشعب ، بين سعد بن أبى وقاص وسعد بن عبادة . ومعه أبو بكر ، وعمر ، وعلى . وطلحة ، والزبير ، وغيرهم . وجاءت فاطمة الزهراء رضى الله عنها فغسلت عنه الدم ، وضمدت جروحه . وأقبل أبى بن خلف من المشركين يقول أين محمد ؟ لانجوت إن نجا . فطعنه النبى صلى الله عليه وسلم بحربة فوقع عن فرسه وأصيب فى عنقه ، ومات بسبب ذلك [1] . ثم أراد عليه الصلاة والسلام أن يعلو صخرة من الشعب . لينظر جماعة من المشركين . فلم يتمكن من القيام بنفسه ، فأعانه طلحة بن عبد الله حتى أصعده على الصخرة فرأى جماعة من المشركين على ظهر الجبل . فقال : لاينبغى لهم أن يعلونا فأرسل إليهم عمر بن الخطاب فى جماعة فأنزلوهم . وقد صعد أبو سفيان ربوة ونادى بأعلى صوته : إن الحرب سجال ، يوم بيوم بدر . أعل هبل [2] فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب أن يجيبه فأجابه عمر رضى الله تعالى عنه بقوله : الله أعلى وأجل لاسواه . قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار . فلما سمع أبو سفيان صوت عمر . قال هلم إلى ياعمر . وأذن له النبى صلى الله عليه وسلم أن يأتيه ، فقال أبو سفيان : أنشدك الله ياعمر ، أقتلنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن ، ثم نادى أبو سفيان : إن

---

(١) ولم يقتل بيد رسول الله ﷺ أحد غيره ، لا فى هذه الغزوة ولا فى غيرها .
(٢) هبل : اسم صنم لهم .

موعدكم بدر ، العام المقبل ، فأجيب من قبل المسلمين بأمر النبي صلى الله عليه وسلم ، نعم ، هو بيننا وبينك موعد (١) ثم انصرفوا ، وتفقد رسول الله صلى الله عليه وسلم القتلى وأمر بدفنهم ، وعاد إلى المدينة فى منتصف شوال .

وقد بلغ عدد القتلى من المسلمين فى هذه الغزوة سبعين شهيداً . منهم أربعة من المهاجرين ، والباقون من الأنصار ، وقتل من المشركين اثنان وعشرون .

وجعلت زوجة أبي سفيان ومن معها من النساء يمثلن بالشهداء ، فجدعن الآذان والأنوف ، واتخذن منها قلائد ، وبقرت زوجة أبي سفيان بطن حمزة ولاكت كبده ، تشفيا من نكايتهم فى غزوة بدر .

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وصوله إلى المدينة بليلة واحدة أن يخرج معه ـ لتعقب العدو ـ كل من حضر هذه الغزوة ، فلما شعر أبو سفيان بذلك هم أن يعود المشركين للقاء المسلمين ، فقيل له إن محمداً قد أقبل فى جميع أصحابه ، فخاف وانثنى عن عزمه ، واستمر راجعا إلى مكة وأقام رسول الله ﷺ بأصحابه فى حمراء الأسد (٢) ثلاثة أيام وعاد إلى المدينة بعد أن تأكد من انصراف المشركين إلى مكة .

---

(١) وقد أخلف أبو سفيان موعده فلم يخرج فى العام التالى ، وأما النبي ﷺ فقد خرج فى ذلك العام إلى بدر ولم يلق أحدا ، وسميت هذه الغزوة غزوة بدر ـ الأخرى أو الصغرى .

(٢) موضع على ثمانية أميال من المدينة فى طريق مكة .

غزوة الخندق وهى غزوة الأحزاب

كان بين المسلمين من الخزرج وبين يهود بنى النضير المجاورين للمدينة عهد على التناصر ، فخان اليهود عهدهم من المسلمين ، حيث هموا بقتل النبى ﷺ فخرج عليه الصلاة والسلام إليهم فى السنة الرابعة للهجرة حتى أجلاهم عن مواطنهم ، فأورث الله تعالى المسلمين أرضهم وديارهم ، ولم يقر لهؤلاء اليهود قرار بعد ذلك فذهب جمع منهم إلى مكة وقابلوا رؤساء قريش واتفقوا معهم ومع قبيلة غطفان على حرب المسلمين ، فتجهزت قريش ومن تبعهم من كنانة ، وتجهزت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد ، وتحزبوا جميعا على محاربة المسلمين حتى بلغ عددهم جميعهم عشرة آلاف دارب قائدهم العام أبو سفيان فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجمعهم لذلك استشار أصحابه فيما يعمل لمقاومتهم ، فأشار سلمان الفارسى رضى الله عنه بحفر خندق فى شمال المدينة من الجهة التى تؤتى منها المدينة فحفروه وجاءت قريش ومن معها من الأحزاب ونزلوا خلف الخندق وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة آلاف من المسلمين أمام الخندق واستمروا على هذه الحالة ، يترامون بالنبل بضعا وعشرين ليلة ، وقد رتب رسول الله صلى الله عليه وسلم حراسا على الخندق لئلا يقتحمه الأعداء ليلا وكان يحرس بنفسه أصعب جهة فيه ، ولما طالت المدة اقتحم جماعة من المشركين الخندق بخيلهم ، فمنهم من وقع فيه فاندق عنقه ، ومنهم من برز له بعض شجعان المسلمين فقتله . وقد استمرت هذه الحركة يوما كاملا .

ثم بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن يهود بنى قريظة القاطنين بجوار المدينة يريدون نقض ما بينهم وبينه من العهود ، فاسترجع من جيشه خمسمائة رجل لحراسة النساء والذرارى . ولما علم المسلمون بأمر بنى قريظة اشتد وجلهم، لأن العدو قد أصبح محيطا بهم من الخارج والداخل ولكن الله سبحانه وتعالى قيض لرسول الله صلى الله عليه وسلم من انبث بين الأعداء يفرق جموعهم بالخديعة والحيلة ، حتى استحكم الفشل بينهم ، وخاف بعضهم بعضا وأرسل الله تعالى عليهم ريحا باردة فى ليل مظلم ، أكفأت قدورهم ، وطرحت آنيتهم فارتحلوا من ليلتهم ، وأزاح الله تعالى هذه الغمة التى تحزبت فيها الأحزاب من قبائل العرب واليهود على المسلمين ، وكانت هذه الحادثة بين شهرى شوال وذى القعدة من شهور السنة الخامسة للهجرة ، واستشهد فيها من المسلمين ستة وقتل من المشركين ثلاثة .

ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخلع لباس الحرب حتى حاصر بنى قريظة ، لخيانتهم ونقضهم العهد ، واستمر محاصرا لهم خمسا وعشرين ليلة حتى كادوا يهلكون ، ولم يروا بدأ من التسليم لما يحكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورضوا بأن ينزلوا على حكم سيدهم سعد بن معاذ . فحكم بقتل رجالهم وسبى نسائهم وذراريهم وأخذ غنائمهم ، فحبس الرجال فى دور الأنصار حتى حفرت لهم خنادق ضربت أعناقهم فيها . وكانوا نحو سبعمائة رجل وبذلك أراح الله المسلمين من شر مجاورة هؤلاء الأعداء .

غزوة الحديبية وصلحها

أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة الخندق بقية السنة الخامسة للهجرة ، وفى السنة السادسة خرج إلى بنى لحيان الذين قتلوا عاصم ابن ثابت ومن معه ، فوجد القوم قد تفرقوا إلى ذى قرد . لرد إغارة عيينة ابن حصن على لقاحه صلى الله عليه وسلم ، ففر العدو بعد مناوشة لم تطل ثم إلى بنى المصطلق لما بلغه أنهم يجمعون له الجموع فهزمهم وغنم منهم أموالا وسبايا .

ثم خرج صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة تلك السنة إلى مكة يقصد العمرة . وخرج معه من المهاجرين والأنصار ألف وخمسمائة ، وساق معه الهدى ليعلم الناس أنه لم يخرج محاربا ، وأمر أصحابه ألا يستصحبوا معهم من السلاح إلا السيوف مغمدة فى قربها ، حتى لا يدخلوا المسجد الحرام إلا بسيوف مجردة فسار عليه الصلاة والسلام بهذا الجمع حتى وصلوا عسفان [1] فجاءه من أخبره أن قريشا اتفقت على صد المسلمين عن مكة وتجهزت للحرب ، وأخرجت خالد بن الوليد فى مائتى فارس ليصدوا المسلمين عن التقدم ، فسار المسلمون من أسفلها . حتى وصلوا إلى مهبط الحديبية [2] فبركت ناقته صلى الله عليه وسلم فأمر أصحابه بالنزول ، وهناك جاء رسول من قريش يسأل عن سبب مجىء

---

(١) موضع على مرحلتين من مكة .

(٢) الحديبية : بئر بقرب مكة .

المسلمين ، فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بمقصده . فلما رجع إلى قريش لم يثقوا به ، فأرسلوا آخر ، فلما رأى الهدى وسمع التلبية رجع ، وقال لقريش : إن القوم جاءوا معتمرين ، وما ينبغى أن يصدوا ، وما ينبغى أن تحج لخم وجذام وحمير ، ويمنع عن البيت ابن عبد المطلب ، فلم تسمع قريش لقوله وبعثوا آخر ، فرأى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم احترامهم لنبيهم ومحبتهم إياه . فرجع إلى قريش وحدثهم بما رأى . وقال : إنى والله مارأيت ملكا فى قومه مثل محمد فى أصحابه . فتكلم القوم فيما بينهم وقالوا : نرده عامنا ويرجع إلى قابل .

ثم أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فى جوار رجل من بنى أمية ليعلمهم بقصده ، وخرج معه عشرة من المسلمين لزيارة أقاربهم بمكة ، فقالت قريش إن محمدا لايدخلها علينا عنوة أبداً . ثم منعوا سيدنا عثمان رضى الله عنه ومن معه من الرجوع ، وشاع بين المسلمين أنه قد قتل ، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه للبيعة على القتال فبايعوه على ذلك [1] وبعث المشركون طلائعهم ، فأسر المسلمون منهم اثنى عشر رجلا .

ولما سمعت قريش بهذه البيعة ، خافوا أن تدور عليهم الدائرة ، فأرسلوا أحدهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم للمكالمة فى الصلح ، وبعد أن أطلقوا

---

(١) وكان ذلك تحت شجرة سميت بشجرة الرضوان . وسميت هذه البيعة أيضا بيعة الرضوان .

سبيل سيدنا عثمان ومن معه أطلق المسلمون من أسروهم. واتفق معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قواعد الصلح ، وهى أربعة أمور : ترك الحرب بين الفريقين عشر سنين ، وأن يرجع رسول الله والمسلمون من عامهم دون أن يدخلوا مكة ، فإذا جاء العام الثانى دخلوها بدون سلاح سوى السيوف فى القرب ، وأقاموا بها ثلاثة أيام بعد أن تخرج منها قريش ، وأن من أتى المسلمين من قريش ردوه إليهم ، ومن جاء من المسلمين لا يلزمون برده وأن من أحب أن يدخل فى عهد المسلمين دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عهد قريش دخل فيه ، وأملى النبى صلى الله عليه وسلم ، على على بن أبى طالب فكتب بذلك وثيقة . وقد رضى المسلمون بما رضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن تألموا من بعض هذه الشروط. ثم تحلل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون من عمرتهم ، وعادوا إلى المدينة ، وقد نزلت فى هذه الحادثة سورة الفتح .

مراسلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الملوك
بعد صلح الحديبية

بعد تلك الهدنة التى تمت بصلح الحديبية ، أمن المسلمون شر قريش وأصبحت طرق المواصلات مع سائر الجهات متيسرة فشرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نشر الدعوة وتعميمها ، فكاتب ملوك الأرض يدعوهم وأممهم إلى الإسلام ، واتخذ له خاتما نقشه (محمد رسول الله) .

فبعث دحية الكلبى بكتاب إلى قيصر ملك الروم ، وكان بالقدس ، فلما

وصله الكتاب ، وكان أبو سفيان بالشام فى تجارة ، استدعاه فسأله عن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو سفيان : هو فينا ذو نسب ، فسأله : هل تكلم بهذا القول أحد قبله؟ فقال لا ، فسأله: هل كنتم تتهمونه بالكذب فقال لا ، فسأله : هل كان من آبائه ملك ؟ فقال لا . فسأله : هل أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ فقال بل ضعفاؤهم فسأله : فهل يزيدون أم ينقصون ؟ فقال بل يزيدون ، فسأله : فهل يرتد أحد منهم كراهية فى دينه ؟ فقال لا . فسأله : هل يغدر إذا عاهد ؟ فقال: لا ، فسأله هل قاتلتموه وكيف حربكم وحربه ؟ فقال حاربناه ، وكانت الحرب بيننا وبينه سجالا ، مرة لنا ومرة علينا فسأله : بم يأمركم؟ فقال يقول : اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهى عما كان يعبده آباؤنا ، ويأمر بالصلاة والصدق ، والعفاف ، والوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة . فاستنتج الملك مما ذكر أنه نبي . وقال لأبى سفيان : إن كان ما كلمتنى به حقاً . فسيملك موضع هاتين . ثم جمع عظماء الروم وحادثهم فى اتباع هذا النبي فيفروا ، وقد غلب عليه حب ملكه فلم يسلم ، ورد دحية ردا جميلا .

وأرسل عليه الصلاة والسلام الحارث بن عمير بكتاب إلى أمير بصرى فلما بلغ «مؤتة» من قرى الشام ، تعرض له شرحبيل الغسانى فقتله ، ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره .

وأرسل عليه الصلاة والسلام كتابا إلى أمير دمشق التابع لملك الروم فلما وصله الكتاب وقرأه رمى به ، واستعد لحرب المسلمين واستأذن ملكه فى ذلك فلم يأذن له .

وأرسل عليه الصلاة والسلام حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى المقوقس أمير مصر من قبل ملك الروم وكان بالإسكندرية ، فلما قرأ قال لحاطب: مامنعه إن كان نبياً أن يدعو على من خالفه وأخرجه من بلده ؟ فقال له حاطب : ألست تشهد أن عيسى بن مريم رسول الله ؟ فلم لم يمنعه الله حين أخذه قومه ليقتلوه ؟ فقال المقوقس لحاطب: أحسنت. ولقد نظرت فى أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ، ولا ينهى عن مرغوب فيه ولم أجده بالساحر الضار . ولا بالكاهن الكذاب وسأنظر ، ثم كتب رد الجواب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام لا اعتراف فيه ولا إنكار وأهدى له جاريتين ، إحداهما مارية ، التى تسرى بها عليه الصلاة والسلام وأتى منها بولده إبراهيم عليه السلام .

وأرسل عليه الصلاة والسلام كتاباً إلى النجاشى ، ملك الحبشة. فلما قرأه قال الرسول : إنى أعلم والله أن عيسى بشر به ولكن أعوانى بالحبشة قليل.

وأرسل إلى كسرى ملك الفرس . فاستكبر ومزق الكتاب فمزق الله تعالى ملكه كل ممزق .

وأرسل إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين فأسلم وأسلم معه بعض قومه وأقره صلى الله عليه وسلم أميرا من قبله على جهة البحرين .

وأرسل إلى جعفر وعبد الله ابنى الجلندى ملكى عمان ، فأسلما بعد أن سألا عما يأمر به النبي وينهى عنه ، فقال لهما رسول النبى صلى الله عليه وسلم إنه يأمر بطاعة الله عز وجل ، وينهى عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان والزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب .

وأرسل عليه الصلاة والسلام إلى هوذة بن على ملك اليمامة فطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل له بعض الأمر ، فلم يجبه .

غزوة خيبر

ورجوع مهاجرى الحبشة إلى المدينة وعمرة القضاة وسرية مؤتة

بعد أن تم صلح الحديبية واستراح المسلمون من غزوات قريش ، رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستريح أيضا من أعدائه القريبين الذين يتربصون به الشر ، وهم أهل خيبر الذين حزبوا الأحزاب على المسلمين فى غزوة الخندق فخرج صلى الله عليه وسلم إلى خيبر فى أول السنة السابعة للهجرة وكانت خيبر محصنة بثمانية حصون. فعسكر المسلمون خارجها وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع نخيلهم ليرهبهم. فلما رآهم مصرين على القتال بدأهم بالمراماة واستمروا فى المناوشة سبعة أيام ثم حمل المسلمون على اليهود حتى كشفوهم عن مواقفهم وتبعوهم حتى دخلوا أول حصن . وانهزم الأعداء إلى الحصن الذى يليه فقاتلوا عنه قتالا شديداً حتى كادوا يردون المسلمين عنه ولكن المسلمين اقتحموا عليهم هذا الحصن حتى ألجئوهم إلى الحصن الذى يليه وحاصروهم فيه ومنعوا عنهم جداول الماء فخرجوا وقاتلوا حتى انهزموا إلى حصن آخر ، وهكذا حتى لم يبق غير الحصنين الأخيرين ، فلم يقاوم أهلهما بل سلموا طالبين حقن دمائهم وأن يخرجوا من أرض خيبر بذراريهم لا يأخذ الواحد منهم إلا ثوبا واحدا على ظهره ، فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وغنم المسلمون من خيبر غنائم كثيرة من دروع ، وسيوف ورماح وأقواس ، وحلى ، وأثاث ومتاع ، وغنم وطعام .

وقد قتل من اليهود فى هذه الغزوة ثلاثة وتسعون قتيلا ، واستشهد من المسلمين خمسة عشر شهيدا .

وفى هذه الغزوة أهدت امرأة يهودية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذراع شاة مسمومة ، فأخذ منها مضغة ثم لفظها ، حيث أعلمه الله تعالى أنها مسمومة وقد اعترفت تلك المرأة بما فعلت . وقالت : قلت إن كان نبيا لن يضره ، وإن كان كاذبا أراحنا الله منه ، فعفا عنها صلى الله عليه وسلم .

فتح فدك

وبعد فتح خيبر أرسل صلى الله عليه وسلم إلى يهود فدك فصالحوه على أن يتركوا أموالهم ويحقن دماءهم فأجابهم لذلك .

رجوع بقيه مهاجرى الحبشة إلى المدينة

بعد رجوع المسلمين من خيبر . قدم من الحبشة بقية من كان فيها من المهاجرين منهم : جعفر بن أبى طالب ، وأبوموسى الأشعرى وقومه . بعد أن أقاموا بها عشر سنين .

وقد أسلم بعد غزوة خيبر ثلاثة من عظماء الرجال : خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعثمان بن طليحة العبدرى .

عمرة القضاء

ولما حال الحول على صلح الحديبية ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه الذين صدوا معه عن البيت عام الحديبية ، ليقضوا تلك العمرة التى صدوا عنها ـ حسب عهدة الحديبية ، فلما وصلوا إلى مكة خرجت منها قريش ودخلها المسلمون وقضوا عمرتهم ، وأقاموا بمكة ثلاثة أيام ثم انصرفوا إلى المدينة بسلام .

سرية مؤتة (١)

فى منتصف السنة الثامنة للهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً مؤلفاً من ثلاثة آلاف مقاتل . للاقتصاص من عمرو بن شرحبيل أمير بصرى من قبل الروم . لقتله الحارث بن عمير الذى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام ، فلما بلغ هذا الجيش أرض « مؤتة » قابلهم الروم والعرب المتنصرة فى مائة وخمسين ألفا ، وكان قائد المسلمين زيد بن حارثة فقتل فتولى القيادة جعفر بن أبى طالب فقتل ، ثم عبد الله بن رواحة فقتل . وكان هذا الترتيب بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعد أن استشهد من سماهم النبى صلى الله عليه وسلم اتفق الجيش على تولية خالد بن الوليد . فجعل يخادع الأعداء حتى ألقى الله الرعب فى قلوبهم وانصرفوا .

---

(١) هى أول حرب بين المسلمين والروم .

فتح مكة ونتائجه

كانت بطون خزاعة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما كانت بنو بكر بن وائل فى عهد قريش ، وكانت بين هذين الحيين دماء فثار بنو بكر على خزاعة وساعدتهم قريش بالسلاح والأنفس وقاتلوهم. فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من خزاعة ، وأخبروه بنقض قريش للعهد ، فلما أحست قريش بما فعلت ، جاء منهم أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقوى العهد ويزيد فى المدة ، فلم يجبه إلى ذلك، وتأكدت المسلمون من نقض قريش للعهد ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يتجهزوا ، وكتم عنهم الوجه ، فاجتمع لذلك عشرة آلاف من المسلمين من المهاجرين والأنصار وطوائف من العرب، وخرج بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشر مضت من شهر رمضان فى السنة الثامنة للهجرة ، وساروا حتى نزلوا « بمر الظهران » بقرب مكة ، بدون أن تعلم قريش بوجهتهم .

وكان العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج مهاجراً إلى المدينة بأهله ، فقابله عليه الصلاة والسلام فى الطريق فأرجعه معه ، وبعث بعياله إلى المدينة ، وبينما جيش المسلمين بمر الظهران ، إذا خرج أبو سفيان . ومعه آخران يتجسسون الأخبار ، لما يتوقعونه من عدم سكوت المسلمين على نقض العهد ، فظفرت بهم جنود المسلمين ، وكان أول من لقى أباسفيان العباس ابن عبد المطلب ، فأخذه معه حتى وصل به إلى خيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمنه وسلمه للعباس ، فلما أصبح أسلم وشهد شهادة الحق . فقال العباس : يارسول الله إن أبا سفيان رجل

يحب الفخر ، فاجعل له شيئا ، فقال عليه الصلاة والسلام : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » .

ثم أمر العباس أن يقف بأبي سفيان حيث يسير الجيش حتى ينظر إلى المسلمين ، فجعلت القبائل تمر عليه كتيبة كتيبة حتى انتهت وانطلق أبو سفيان إلى مكة مسرعاً ، ونادى بأعلى صوته : يامعشر قريش لقد جاءكم محمد بما لاقبل لكم به .

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز رايته بالحجون[١] وأمر خالد بن الوليد أن يدخل مكة بمن معه من كدى[٢] ودخل ﷺ ومن معه من كداء[٣] ونادى مناديه : من دخل داره وأغلق بابه فهو آمن . ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن واستثنى من ذلك جماعة أهدر دماءهم لشدة ماألحقوه بالمسلمين من الأذى .

وقد صادف جيش خالد بن الوليد في دخوله مقاومة من طائشي قريش فقاتلهم وقتل منهم أربعة وعشرين ، واستشهد من فرقته اثنان ، وأما فرقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تصادف مقاومة ، وقد دخل عليه الصلاة والسلام راكباً راحلته وهو منحن على الرحل ، تواضعاً لله تعالى وشكراً له عز وجل على هذه النعمة العظمى ، وكان ذلك صبح يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان .

---

(١) جبل بمعلاة مكة .
(٢) جبل بأسفل مكة من جهة اليمن .
(٣) جبل بأعلى مكة .

ولقد نصبت له عليه الصلاة والسلام قبة فى الموضع الذى أشار بأن تركز فيه الراية فاستراح فى القبة قليلا ، ثم سار وهو يقرأ سورة الفتح ، وبجانبه أبو بكر ، حتى دخل البيت ، وطاف سبعاً على راحلته ، واستلم الحجر بمحجنه ، وكان حول الكعبة أصنام كثيرة ، فكان يطعنها بعود فى يده ويقول :

(جاء الحق وزهق الباطل . جاء الحق ومايبدىء الباطل ومايعيد)

وبعد أن تم رسول الله صلى الله عليه وسلم طوافه أمر بالأصنام فأزيلت من حول الكعبة ، وطهرت الكعبة من هذه المعبودات الباطلة ثم أخذ عليه الصلاة والسلام مفتاح الكعبة من حاجبها عثمان بن طلحة الشيبى ، ودخلها وكبر فى نواحيها ثم خرج إلى مقام إبراهيم وصلى فيه ، ثم جلس فى المسجد والناس حوله ينتظرون ماهو آمر به فى شأن قريش ، فقال عليه الصلاة والسلام « يامعشر قريش ، ماتظنون أنى فاعل بكم ؟ » قالوا خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ورد مفتاح الكعبة لسادنها ، ثم خطب فى الناس خطبة أبان فيها كثيراً من أحكام الدين ، وبعد أن أتمها شرع الناس يبايعونه على الإسلام ، وأسلم كثير من قريش .

وممن أسلم فى ذلك الوقت : معاوية بن أبى سفيان وأبو قحافة والد الصديق وأسلم بعض من أهدر رسول الله ﷺ دمه فى ذلك اليوم وبايع فقبلت بيعته ، وبعد أن تمت بيعة الرجال بايعه النساء .

ثم أمر رسول الله ﷺ بلالا أن يؤذن على ظهر الكعبة وكانت هذه أول مرة ظهر فيها الإسلام على ظهر البيت .

وقد أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها تسعة عشر يوما أرسل في أثنائها خالد بن الوليد فى ثلاثين فارساً ، لهدم هيكل (العزى) وهو أكبر صنم لقريش ، وأرسل عمرو بن العاص لهدم (سواع) وهو أعظم صنم لهذيل. وبعث آخر لهدم (مناة) وهو صنم لخزاعة .

غزوة حنين

بهذا الفتح دانت للإسلام جموع العرب ودخلوا فى دين الله أفواجا غير أن قبيلتى هوازن وثقيف أخذتهم العزة والأنفة وتجمعوا لحرب المسلمين فى مكة فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لهم فى اثنى عشر ألف مقاتل ، وهو أكثر جند جنده عليه الصلاة والسلام ، فلما وصل جيش المسلمين إلى وادى حنين كان العدو كامناً فى شعابه ، فقاموا على المسلمين قومة رجل واحد قبل أن يتمكن المسلمون من تهيئة صفوفهم فانهزمت مقدمة جيش المسلمين ، فأمر رسول الله ﷺ عمه العباس أن ينادى فى الجيش بالثبات فاجتمعوا واقتتل الفريقان ولم تمض ساعات حتى انهزم الأعداء هزيمة شديدة وقد قتل من ثقيف وهوازن نحو سبعين ، وغنم المسلمون ما كان مع العدو من مال وسلاح وإبل .

ثم توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثقيف بالطائف . فحاصرها مدة ولم يفتحها . وبعد رجوعه منها أتاه وهو بالجعرانة وفود من هوازن ، يلتمسون منه رد نسائهم وأبنائهم الذين سباهم المسلمون فقال عليه الصلاة والسلام : ما كان لى ولبنى عبد المطلب فقد رددته إليكم ، فقال المهاجرون

والأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فردت إلى هوازن نساؤهم وأبناؤهم .

ثم قام عليه الصلاة والسلام من الجعرانة إلى مكة معتمراً . فأدى العمرة وعاد بعد ذلك إلى المدينة ، فوصلها لست بقين من ذى العقدة .

غزوة تبوك

أقام عليه الصلاة والسلام بالمدينة إلى منتصف السنة التاسعة للهجرة ، ثم بلغه أن الروم يتجهزون فى تبوك لحربه بعد ما كان بينهم وبين المسلمين فى حادثة « مؤتة » فتجهز عليه الصلاة والسلام لغزوهم فى ثلاثين ألف مقاتل وكان المسلمون إذ ذاك فى زمن عسرة وجدب فلم يعقهم ذلك عن التأهب لقتال الأعداء ، وتصدق أبو بكر لذلك بجميع ماله . وعثمان بن عفان بمال كثير ، فخرج عليه الصلاة والسلام حتى وصل تبوك ، فلم يجدهم بها ، فأقام هناك بضع عشرة ليلة ، ثم قفل إلى المدينة، وهذه آخر غزواته صلى الله عليه وسلم.

نتيجة الدعوة من مبدئها
إلى انتهاء الغزوات والسرايا

وفى ذلك بيان وفود العرب التى وفدت على النبى صلى الله عليه وسلم

لقد كانت الدعوة إلى الإسلام فى مبدئها سرا وخفية ، والذين دخلوا فى الإسلام إذ ذاك أفراد قليلون ، وبعد الجهر بالدعوة أخذ عددهم يزداد قليلا قليلا إلى أن أذن له صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة ، فازداد عددهم

بدخول عرب المدينة ومن حولها فى الدين وحدانا وجماعات. ولكن الدعوة لم تصل إلى الدرجة المطلوبة من الانتشار والعموم حتى تم صلح الحديبية بين قريش والمسلمين : فكان ذلك الصلح سبباً كبيراً من أسباب فشو الدعوة وعمومها . حيث أمنت الطرق . وتمكن الرسول عليه الصلاة والسلام من إرسال الرسل والكتب إلى الملوك والأمم والقبائل . ثم تم الأمر بفتح مكة ودخول أعاظم قريش فى الإسلام . وانتشار القرآن بأسلوبه البديع وحكمه البالغة ، المؤثرين فى عقول العرب ذلك التأثير الذى لانت به شكيمتهم . وشرعوا يفدون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أفواجا ، وقد كان أكثر ذلك فى السنة التاسعة للهجرة .

فمن ذلك وفد (ثقيف) ، جاءوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم عقب مقدمه من « تبوك » يريدون الإسلام وطلبوا أشياء أباها عليهم وأشياء أعطاها لهم ووفد (نصارى نجران) وهؤلاء لم يسلموا بل رضوا بدفع الجزية ووفود (بنى فزارة) قدموا على النبى ﷺ مسلمين .

ووفـــد (بنى تميم) ، جاء إلى النبى ﷺ أشرافهم ونادوه من وراء الحجرات ، وبعد تبادل الخطب وإنشاد الشعر بين خطبائهم وشعرائهم وخطباء المسلمين وشعرائهم ، أسلموا وعادوا إلى أوطانهم .

ووفد (بنى سعد بن بكر) يؤمهم ضمام بن ثعلبة الذى سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أسئلة كثيرة وأجابه عنها فأسلم وعاد إلى قومه فما بقى منهم أحد إلا أسلم من يومه .

ووفد (كندة) فى مقدمته الأشعث بن قيس ، وقد أسلموا بعد أن سمعوا أوائل سورة « الصافات » .

ووفد (بنى عبد القيس بن ربيعة) وكانوا نصارى فأسلموا جميعاً .

ووفد (بنى حنيفة بن ربيعة) فأسلموا ، وكان فيهم مسيلمة بن حنيفة الذى لقب بالكذاب لادعائه النبوة بعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الدار الآخرة .

ووفد (طيء من قحطان) يقدمهم زيد الخيل ، وقد أسلموا جميعا .

ووفد (بنى الحارث بن كعب) ، فيهم خالد بن الوليد جاءوا مسلمين .

ووفود أخر من قبائل شتى . من (بنى أسد) و (بنى محارب) و(همدان) و (غسان) وغيرهم ، ومنهم من جاء مسلما ومنهم من جاء للإسلام وأسلم ، ورسل من ملوك حمير وغيرهم جاءوا يخبرون بإسلامهم .

وهكذا دخل الناس فى دين الله أفواجا ، حتى بلغ من كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فى السنة العاشرة للهجرة أكثر من مائة ألف ، والذين لم يحضروا حجة الوداع من المسلمين كانوا أكثر من ذلك أضعافا مضاعفة (والله يؤيد بنصره من يشاء إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار) .

حجة الوداع

بعد أن عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ، بعث أبابكر الصديق رضى الله عنه فى ذى القعدة إلى مكة ، سنة تسع من الهجرة ، ليحج بالناس ، وفى أواخر ذى القعدة من السنة العاشرة ، قام عليه الصلاة والسلام إلى مكة فى جمع عظيم ، وأحرم للحج عندما سارت به راحلته ، وقال : لبيك اللهم لبيك ، لاشريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك

لاشريك لك ، ولم يزل سائرا حتى دخل مكة ضحوة يوم الأحد . لأربع خلون من ذى الحجة ، وكان دخوله من ثنية كداء . فطاف بالبيت سبعا ، واستلم الحجر الأسود ، وصلى ركعتين عند مقام إبراهيم ، وشرب من ماء زمزم وسعى بين الصفا والمروة سبعاً ، راكبا على راحلته ، وفى الثامن من ذى الحجة توجه إلى منى ، فبات بها ، وفى التاسع منه توجه إلى عرفة وخطب خطبته المشهورة بخطبة الوداع ابتدأها - بعد الثناء على الله تعالى - بقوله :

« أيها الناس ، اسمعوا منى أبين لكم ، فانى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا . فى موقفى هذا » ، ثم قال « أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا . فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذى ائتمنه عليها » .

ثم قال « أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقاً ، ولكم عليهن حقاً ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحد تكرهونه بيوتكم إلا باذنكم ، ولا يأتين بفاحشة . أيها الناس : إنما المؤمنون إخوة . ولا يحل لامرىء مال أخيه إلا عن طيب نفس منه فلا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد » .

ثم قال « أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد . كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت اللهم اشهد فليبلغ الشاهد منكم الغائب » ، وقد اشتملت هذه الخطبة العظيمة على غير ذلك من أحكام الله تعالى وحدوده .

وقد أنزل الله عليه في ذلك اليوم قوله سبحانه وتعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) .

وبعد أن أدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مناسك الحج : من رمى الجمار والنحر ، والحلق ، والطواف ، أقام بمكة عشرة أيام ، ثم قفل إلى المدينة صلى الله عليه وسلم .

أوصافه وشمائله

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جميل الخلقة ، زهرى اللون ، يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر ، عظيم الرأس عظما مناسباً لبقية أعضائه ، شعره بين الجعودة والسبوطة كأنه مشط فتكسر قليلا ، لايتجاوز شعره شحمة أذنيه إذا لم يقصره ، واسع الجبين ، أزج الحواجب بدون اقتران ، في وسط أنفه ارتفاع قليل من غير طول فيه ، ليس بضيق الفم ولا واسعه ، رقيق الأسنان مفلجها ، أسيل الخدين ، غزير شعر اللحية ، جميل العنق . عريض الصدر ، بعيد ما بين المنكبين أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر .

وكان معتدل الأعضاء في سمن معتدل ، ليس بمسترخى اللحم طويل الزندين ، رحب الراحتين ، ممتلىء الكفين والقدمين ، متجافى الأخمصين ، ليس في قدميه غضون ولا تشقق .

وكان متوسط القامة . إذا مشى رفع رجليه بنشاط وأوسع في خطاه ومال إلى سنن المشى برفق ووقار . وكأنما هو في مشيته ينزل من مكان منحدر وكان خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء

وإذا التفت التفت جميعاً ، جل نظره الملاحظة يتأخر عن أصحابه فى المشى ويبدأ من لقه بالسلام .

وكان منزهاً عن الأقذار والعيوب . معتدل الحركات ، حسن الشمائل ، مقتصراً من ضرورات الحياة ـ كالأكل والنوم ـ على قدر الحاجة ، وكان وافر العقل ذكى اللب . قوى الحواس . فصيح اللسان . بليغ القول حليما عفواً . صبوراً على مايكره ، لايغضب إلا لله ، ولا ينتصر لنفسه ولم يضرب بيده شيئا إلا أن يجاهد فى سبيل الله فلم يضرب غلاما ولا امرأة .

وكان شجاعا ، ذا نجدة وفتوة ، لايهاب أحداً . ولا يفر حيث تفر الأبطال وكان جوادا كريما سمحا سخياً .

وكان أشد الناس حياء ، وأكثرهم عن العورات إغضاء ، لايشافه أحداً بما يكره ، فلم يكن فاحشاً ، ولا متفحشاً ، ولا صخابا بالأسواق ، ولا عيابا لايجزى بالسيئة سيئة بل يعفو ويصفح .

وكان حسن العشرة ، كامل الأدب ، واسع الخلق ، دائم البشر . لين الجانب رءوفا رحيما يكرم كريم كل قوم ، ويوليه عليهم ، ويحـــذر الناس ويحترس منهم ، من غير أن يطوى عن أحد بشره ، يتواضع فى غير منقصة ويتفقد أصحابه ويعطى كل جلسائه نصيبهم . لايحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه ، من جالسه أو فاوضه فى حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها . أو بميسور من القول ، قد وسع الناس خلقه فصار لهم أبا ، وصاروا عنده فى الحق سواء .

وكان يجيب من دعاه ولو عبداً أو أمة ، ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافىء عليها .

وكان يخالط أصحابه ويحادثهم ويعود مرضاهم ويمازحهم أحيانا ولا يقول إلا حقا ، وكان من خلقه الوفاء ، وحسن العهد ، والعدل ، والأمانة والعفة ، والصدق ، والمروءة .

وكان فى أعظم حالات الوقار والتؤدة ، وحسن السمت .

وكان فى خوف ربه وطاعته له عز وجل . وإخلاصه فى عبادته بالدرجة التى ليس بعدها غاية . صلى الله عليه وسلم .

مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفاته

فى أوائل صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة مرض النبي صلى الله عليه وسلم بالحمى ، واستمر ثلاثة عشر يوما ينتقل فى بيوت أزواجه ، ولما اشتد عليه مرضه استأذن منهن أن يتمرض فى بيت عائشة ، فأذن له ، ولما تعذر عليه الخروج إلى الصلاة قال « مروا أبا بكر فليصل بالناس » ولما رأى الأنصار اشتداد مرضه أطافوا بالمسجد قلقين ، فخرج عليه الصلاة والسلام ، معصوب الرأس . يخط برجليه متوكئاً على علىّ والفضل ، يتقدمهم العباس ، حتى جلس فى أسفل مرقاة المنبر ، وأحاط به الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أيها الناس بلغنى أنكم تخافون من موت نبيكم ، هل خلد نبى قبلى فيمن بعث الله فأخلد فيكم ؟ ألا إنى لاحق بهم وإنكم لاحقون بى ، فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً ، وأوصى المهاجرين فيما بينهم » إلى أن قال : « ألا وإنى فرط لكم وأنتم لاحقون بى ، ألا فان موعدكم الحوض ، ألا فمن أحب أن يرده على غدا فليكفف يده ولسانه إلا فيما ينبغى » .

وبينما المسلمون فى صلاة الفجر يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول وأبو بكر رضى الله عنه يصلى بهم ، إذ برسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف سجف حجرة عائشة رضى الله عنها فنظر إليهم وهم فى صفوف الصلاة وتبسم ، فظن أبو بكر أن رسول الله يريد أن يخرج للصلاة ، فتقهقر إلى الصف وكاد المسلمون يفتنون فى صلاتهم فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم

فأشار إليهم بيده أن أتموا صلاتكم ، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر ثم حضرته الوفاة ورأسه الشريف على فخذ عائشة رضى الله عنها ، فقال « اللهم الرفيق الأعلى » ولم تأت ضحوة ذلك اليوم حتى فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الحياة الدنيا ولحق بربه عزوجل .

ولم يكن أبو بكر رضى الله عنه موجوداً فى ذلك الوقت بالقرب من منزل عائشة ، فلما حضر وأخبر الخبر ودخل بيت عائشة وكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جعل يقبله ويبكى ويقول : صلوات الله عليك يارسول الله ، ماأطيبك حياً وميتاً . ثم خرج إلى الناس وقال ألا إن من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لايموت .

ثم مكث عليه الصلاة والسلام فى بيته بقية يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويومه ، وليلة الأربعاء ، حتى انتهى المسلمون من إقامة خليفة لهم وتفرغوا لغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه ، فغسله على بن أبى طالب بمساعدة العباس وابنيه الفضل وقثم ، وأسامة بن زيد ، وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كفن فى ثلاثة أثواب ، ليس فيها قميص ولا عمامة ، ووضع على سريره فى بيته فدخل الناس يصلون عليه فرادى لايؤمهم أحد ثم حفر اللحد فى موضع وفاته من حجرة عائشة ورش بالماء وأنزل فيه على والعباس وولداه الفضل وقثم ، وقد رفع قبره الشريف عن الأرض قدر شبر.

وقد بلغ عمره الشريف ثلاثا وستين سنة ، مكث منها بمكة ثلاثا وخمسين سنة ، وبالمدينة المنورة عشر سنين ، صلى الله عليه وسلم وكرم ؟

بحمد الله تعالى تم كتاب (ملخص السيرة النبوية)

فهرس

الموضوع	ص